وراودته: رواية

الكاتبة: د. شاهندة الزيات

تدقيق لغوي وإخراج فني: الباشا عبدالباسط

رقم الإيداع: 4057 / 2020

الترقيم الدولي: 1 - 103 - 844 - 977 - 978

دار الزيات للنشر والتوزيع **:Facebook Page**

E- mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم

01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

9 789778 441031

وَرَاوَدَتهُ

رواية

الكَاتِبة

شَاهِندَة الزَّيات

دار الزيان للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

الإهداء

إلىٰ المنهكة قلوبهم ظلمًا وعدوانًا من خدوش الزمن، إلىٰ الواهنة قلوبهم ظنًّا ويقينًا بفعل صدمات البشر، لمن قرروا أن يحيوا تحت مقصلة الذنب، المحترقين في برودة أجسادهم، النائمين تحت مظلة الألم.

❋ ❋ ❋

لكل أعمى يبحث عن قبلته

وللمتمردين في جب الانكسار

والعائدين بلا وجهة والمغيبين بلا واقع،

وللهاربين من الفزع لمحو المسافات بين البشر والأنبياء،

أهديكم بعض الألم وأصرخ لإيقاظكم.

شاهندة الزيات

هاوية بلا قاع

- **لا أعلم لماذا جئتُ إليك، لكني أعلم أنَّ بي خطأ ما!**

صمتٌّ لدقائق، جلس الطبيب محدقًا فيَّ، تاركًا لي مساحتي من الطمأنينة ثم قال:

- **أنا هنا لأسمعك، تكلم يا طارق، لقد جئتَ إلىٰ هنا باحثًا عن الراحة، وأيضًا حتىٰ أساعدك، ومن أجل ذلك يجب أن تتحدث.**

نتجه نحو من لا يعرفوننا، ونوافق أن نخدع بمحض إرادتنا، وأن يكونوا أحباء، أو أصدقاء، أو أطباء نفسيين، أو تحت أي مسمىٰ، لا تهم المسميات. انتهت جلستي الأولىٰ مع الطبيب ولم أحكِ له أي شيء، جئت محطمًا مثل طائرة تسقط من ارتفاع شاهق دون أن تعرف سبب السقوط، وأغادر أكثر تحطمًا، كنت أظن أنه من السهل أن أحكي، لكني اكتشفت أن ألم الفضفضة همٌّ يضاف إلىٰ همومنا.

وجع ألمَّ بي، عندما نبشتُ أسرار ذلك العقل، التي دفنتُها لسنوات، عندما حركت الماء الراكد، فخرجت حكايات الماضي كسكين انتزعت من صوف خشن، ليتني ما جئت، وما تحدثت، وما راودت تلك الأسرار عن نفسها!

مخاض اليأس!

يتجه المصعد إلىٰ أعلىٰ، يشعر كأن روحه هي التي تصعد إلىٰ السماء، تضيق مع كل دور يتجاوزه، دقات قلبه تزداد، فكره مشتت، خطوة طالما كان يخشاها رغم احتياجه لها، احتياجه لأي وسيلة تخرجه مما هو فيه، وقد قارب عامه الخامس وهو علىٰ تلك الحالة، لا يتذكر سوىٰ تلك المقولة التي تقرع أذنه دائمًا:

"من لم يصب بالإيدز من جراء سوء فعله، قد يعاقبه الله بوسواس ذلك المرض".

أخيرًا وصل المصعد إلىٰ الدور المتجه له، لم ينتبه من غيبته إلا عندما وقف المصعد، وفتح بابه الأتوماتيكي علىٰ لافتة بعنوان: **"دكتور سعيد عمارة - أستاذ الأمراض النفسية والعصبية".**

❋ ❋ ❋

مثل الكثير من الشباب في مقتبل العمر، تتأجج بداخلي رغبة إلىٰ ممارسة الحب، ميل طبيعي إلىٰ الجنس الآخر. أنتظر إقبال الليل، حتىٰ

نوم الأهل، عندها أبقىٰ وحيدًا، أمام صفحات هذا العالم الافتراضي المسمىٰ بالشبكة العنكبوتية، أتقلب بين المواقع باحثًا عن ضالتي المهلِكة، مشهد أعيش فيه بخيالي، أخفف من خلاله ثورة رغبتي، أعيش مع الخيال شوقًا لا أستطيع الوصول إليه في الواقع، أو أخشىٰ حتىٰ مجرد إبداء رغبتي فيه بشكل علني. كيف لذلك المراهق أن يتحتمل عبء الزواج، كما أن سمتي ونشأتي الدينية تمنعاني أن أكون مصاحبًا للفتيات، أو حتىٰ متحدثًا معهم، فأصبح الأقرب لي هذا العالم الافتراضي، حتىٰ أُلبي رغبة وميلًا طبيعيًّا في نفسي.

توقف طارق فجأة عن الاسترسال في الحكي، وكأن شيئًا بداخله استيقظ، يناديه أن أفق، توقف ماذا ستحكي بعد هذا؟! خرج صوت المثالية والتحفظ بداخله مرة أخرى، وتوقف فجأة عن البوح.

- **أكمل يا طارق، أسمعك، أكمل.**

- **هل تستطيع أن تسمعني دون أن أتحدث؟ هل يمكنك أن تسمع صوتي الداخلي، صوت قلبي؟ طفلٌ زجاجيٌ قل له كلمة وسيتحطم، أتدري،**

أنا أحاول بكل ما أوتيت من ألم لكن لا أستطيع، أريد فقط الراحة، دون أن أحكي، أريد البوح، وأخشىٰ عواقبه.

- هل سنعود إلىٰ نقطة البداية؟ لقد تجاوزنا ذلك من الجلسة الماضية، دعني أخبرك أن كل من بالخارج الآن ينتظر الفرصة للبوح، حتىٰ أنا لي بئر أسرار، لا أريد سماعك للفضول أو حب استطلاع، بل لأُشخص المشكلة، ولأُخرج ما بداخلك من حمم تتأجج، احكِ ولا تخف، أنا هنا معك، من أجلك، لست قاضياً؛ أنا محام عنك، مهما اقترفت لا تخجل، محام عنك عن قناعة وليس عطفًا، كل ابن آدم خطاء، جميعنا نخطئ، المهم أن نتجاوز ذلك ونخرج منه.

تخرج الكلمات من الطبيب هادئة، تتغلغل داخل طارق في سكون، لتدخل من بين أدق مساماته التي سعىٰ جاهدًا كي يغلقها أمام كلمات الطبيب، محاولة في تقبل المسألة، والشعور بالقليل من الأمان، والبوح في ثبات، لعله الهدوء قبل العاصفة، ارتاح قليلًا لقول طبيبه فاسترخىٰ مرة أخرىٰ علىٰ كرسيه، وفتح من جديد صنبور البوح.

❋ ❋ ❋

"عانيت من أمرٍ لم أبُح به لأحد غيري، تتبعت قلوب البشر مرارًا وتكرارًا، فلم أجدها، وكأني كنت أفتش عن العدم، ووجدت الخزي هناك ينتظرني".

في كل يوم وأنا أقلب صفحات المواقع، أقلب أيضًا وجهي وعيني في جوانب حجرتي؛ خوفًا من أن يستيقظ أحد فيراني وأنا على هذه الحالة، كاللص الذي انتظر الليل، حتى يسترق النظرات، هكذا دائمًا الخطأ يكون في الخفاء ويخشى العلن، يكون في الظلمات، ويخشى النور.

عندما أنتهي من لحظتي مع الشيطان، وأفرغ طاقتي، ينتابني شعور بالألم النفسي، وذل المعصية، وجلد الذات، والاحتقار الشخصي؛ لأنني أستخفي من الناس، وأنا أعلم أن الله يراني، فأتذكر عندها قول ربي يوم تُبْلَى السرائر، **"عبدي، لمَ جعلتني أهون الناظرين إليك؟"** فما تلبث هذه الوقفة مع النفس إلا للحظات؛ فتعود النفس الأمارة بالسوء إلى التبرير وأنني سوف أتوب أو سوف أُقلع عن هذا عندما أتزوج.

كنت أنسى، أو أتناسى عندها أن للشيطان خطوات، وأنني ربما لا أتوقف عند هذا الحد مشاهدًا فقط؛ بل سأُتْبِعُ الخطوة بالأخرى، حتى

أفرغ ما بداخلي من حمم الشهوة التي تكونت ونشطت من حرارة هذه المشاهد الإباحية، التي أتتبع طريقها خلال ذاك العالم الافتراضي.

ظللت طويلًا علىٰ هذه الحالة، وتحولت إلىٰ شخصين، أحدهما ملتزم أمام الناس، مؤدٍ للصلوات في جماعة، وأحيانًا واعظ بين أقراني، والآخر يظهر بالليل، مستترًا خلف شاشة الحاسوب، واسم وهميٍّ، أشاهد ما كنت من وقت قليل أزجر الناس عنه، فانقسمت نفسي بين شخصين متحاربين، يريد كلاهما أن يكون هو السائد، وأنا في عذاب وحزن من أثر هذه الحرب.

❋ ❋ ❋

نفسٌ لوامة
ونفس أمَّارة بالسوء

لتتحطم روحك علىٰ صخرة الهاوية أكثر فأكثر، فلا أحد يراك تتردى، ولا أنت تعترف بسقوطك، فتارة أبكي علىٰ حالي وذنبي وعصياني، وتارة أبرر فعلي، وأخفض صوت ضميري حتىٰ لا أسمعه، لم أكن في يومٍ وسطيًّا أخطئ وأتوب، لكن إما أكون ملاكًا منزهًا عن كل عيبٍ، أو شيطانًا يتجرأ علىٰ الذنوب.

ملتزمًا أعامل نفسي كأنها جماد، لا تتحرك ولا تشعر بأي مؤثر، ولا شهوة، حتىٰ إذا أتتها الفرصة هربت مني، وتحولت إلىٰ النقيض. كنت أظن أن الالتزام ينفي عني الإحساس أو الرغبات، فلا ضحك ولا مزاح، ولا رحلات إلا القليل جدًّا، علىٰ مضض، كنت عنيفًا جدًّا مع نفسي عندما تفكر في أمر هو من طبيعتها.

الآن أصبحت مهيئًا للخطوة الثانية بعدما أدمنت الخطوة الأولى. لقد أصبحت لا أشعر بألم المعصية كما كنت في السابق، أصبح الذنب شيئًا

من طقوسي اليومية، وهذا بداية الخطر، ألَّا أشعر بأنني أفعل خطأ أو ذنبًا، لأن النفس تصبح مهيئة لما هو أبعد من ذلك، لا أستطيع أن أدرك عل عقلي يتناسىٰ عمدًا، يبوح بما يريده فقط، بما يشبع شهواته.

❋ ❋ ❋

ما بين الأمل والألم

لن أبوح، لن أكمل بعد هذه الجلسة، لن يفيدني العلاج، إلا إذا رضيت أنت عني وقبلتها، كيف أكون حرًّا وقد طوقني هذا الطوق الصلد، الذي يطبق علىٰ أنفاسي فتتعثر خروجًا عبر رئتي.

كيف أسعىٰ للحرية وأنا عبد شهوتي الجسدية واللحظات المحرمة. فلتخبرني إن كنت حقًّا طبيبي لم كل ذلك الصراع داخلي؟ وهل سينتصر الخير فينا ونحن بشر؟

يضحك بسخرية ثم يردف قائلًا:

ألم تقل عنا الملائكة: " أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"؟

فلتنزع مني تلك التي راودتني عن نفسي، وما كان لي إلا أن قلت لها "هيت لك".

* * *

موعد جديد من مواعيد حكيه مع الطبيب، نفسه مثقلة، تحمل جبلًا يريد أن يخبر الطبيب بأنه أُنهك من الحكي، يكفي ما قاله، يريد العلاج، أو أي طريقة تعينه علىٰ ما هو عليه دون الخوض أكثر في الحكي، فهو مؤلم، وإن كانت فيه بعض الراحة.

أخبر طبيبه بنيته في عدم الحكي، أو الاكتفاء بما مضى، فقد أصبح الحكي عبئًا، يزيد علىٰ عبء ما به من وساوس.

- أنت مريض يا طارق وأنا طبيب، قل ذلك وتعامل به، أعلن ذلك علىٰ الأقل أمامي، واروِ أعراضك ولا تخجل منها.

- ما أقبح تلك الحياة، إذ انتويت أن تسعىٰ لتعلم الحقيقة الكاملة!

"أنا مريض"..

- تصريح رغم صعوبته علىٰ النفس لكنه مطلوب عند المرض النفسي، بل مُعين علىٰ التعافي، أن تدرك أنك تمر بوعكة مرضية، المرض النفسي لا يعيب، وليس شيئًا لا بد أن نتنكر منه، المريض أحيانًا يحتاج لإعلام الناس بمرضه؛ ليخففوا عنه، بل ويتعاطفوا معه، لا أن يجلدوه، وأكثر من يحتاج ذلك هو المريض النفسي، نعم تحتاج لمن يطمئن

مخاوفك، لمن يأخذها علىٰ محمل الجد، لمن يدرك وقعها عليك، لذلك فالحديث هنا لك بأن تكف عن التظاهر بالتحمل، وأن تعترف بأنك في حاجة للعون، بل وبكل شجاعة قل:"أنا مريض"، هنا بداية العلاج، قلقك غير حقيقي، مخاوفك وهمية، ذلك كله وهم، وأن الأمر حالة نفسية أكثر منها حقيقية، لذلك هناك بعض الأدوية الكيميائية لكن ليس مقامها الآن، أحاول هنا أن أخرج ما تخشىٰ أن يخرج، أن أُلقي ما بداخلك من مخاوف، وساوس، فأقهرها معك بالبراهين، العلاج السلوكي والإجرائي منك هو الأهم، بل هو العلاج الفعال، الأدوية ربما مساعدة فقط، أول العلاج القناعة بأنك مريض تحتاج إلىٰ علاج وإلىٰ دعم، وهنا لنا وقفة، فالمرض النفسي يختلف عن المريض العقلي، رغم ما بهما من لبس علىٰ الكثير، المرض النفسي صاحبه مدرك له، بل هو من يذهب للطبيب ليعالج منه، بل العلاج يبدأ فيه من المريض ذاته ويتوقف علىٰ عزيمته، لذلك هي معركتك الكبرى، وكلنا بالمناسبة مرضىٰ نفسيين بنسب، قد تقل أو تكثر، كلنا نحتاج الدعم النفسي والشعوري.

أما المريض العقلي مرضه في الإدراك، لا يعترف أنه مريض، بل قد ينظر إلينا من عالمه الخاص بأننا مرضى، بل وقد يعادينا في بعض

الأمراض العقلية، المريض العقلي ليس مخالطًا للناس، عكس النفسي، فهو أنا وأنت وكل الناس كما ذكرنا بنسب، لذلك لا بد ألا تحاول التنكر من مرضك أو حتىٰ محاولة نفيه؛ بل مواجهته، الاستعانة بمن حولك في ذلك.

- **" أنا لست مريضًا، أنا فقط مللت من كل ما حولي، البشر، الجماد، الصدق، الكذب، البوح، الصمت، الوجوه، النفاق، مللت من جسدي من نفسي، ولست مجنونًا، لذلك اكتفيت بالبعد عن العالم".**
- أنا أدرك حجم مأساتك ومعاناتك، أدركها تمامًا، أكبر المعافاة معافاة النفس، وأفضل راحة الراحة النفسية، قد تكتمل لك كل المتع وكل الترف، لكن لا توجد النفس التي تتمتع بذلك، كما قيل من قبل، قد تشتري أفضل الفرش والأرائك، لكنك لا تستطيع شراء النوم الهادئ بلا أرق، قد تشتري أفضل الطعام، لكنك لا تستطيع شراء النفس التي تشتهي. أعظم الخسارة هي خسارة سلامك الداخلي، قالوا الحر من لا يخاف الفقد، وتلك معادلة كبيرة للتخلص من القلق والخوف المرضي، فقد كثرت في حياتنا أمور قدسناها، نخاف خسارتها،

بل جعلناها محور الحياة فأصبحنا عبيدها، نخاف ذهاب الوظيفة، نخاف ذهاب أموالنا، نخاف ذهاب السمعة وأعين الناس أكثر من الخالق، نخاف علىٰ الرزق، نخاف فقد الحبيب، أصبحنا أسرىٰ أمور نحن من منحناها القداسة، الحر، لا يأتيه المرض النفسي فهو لا يخاف الفقد، مصيبته فقط في دينه، وذويه، يحمد ربه إن كان آمنًا في سربه وبيته وزوجته وولده، فلنتحرر من كل ما نخشىٰ فقدانه غير ذلك، عندها ستكون تمام حريتنا وتحررنا، فليكُن خوفنا من الله، ولتكن مصيبتنا في ديننا فقط.

- طارق..

- سأكمل، سأكمل، أنا نقيضان يعيشان في جسد واحد، بداخلي الشعور بالبوح، أريد أن أحكي وأريد ممن يسمعني أن لا يمتعض رغم صعوبة ما أقوله، أن لا تختلف نظرته لي ولا تختلف طريقته، هذا فقط ما أخشاه.

- أنت لست مهمًّا عند البشر بالقدر الكافي، لتهتم بأفكارهم كل ذاك الاهتمام، أنا عبد مثلك، لست ربًّا كي أحاسبك، تأكد أن تلك الملفات التي أمامك كلها بوح كان يظن أصحابه أنهم قالوا ما لم يُقَل

وأنهم شياطين الأرض. سأكرر كلنا نخطئ وأنا دائمًا أردد أنا أقرب الضالين إلىٰ الهدىٰ وأقرب المهتدين إلىٰ الضلال..

أكمل يا صديقي كلي آذان صاغية لك.

- أصبحت كائنًا ليليًّا، حيث السهر حتىٰ مطلع الفجر، والنوم طيلة النهار، أصبحت عارفًا بكل المواقع التي تحوي ما أريد، بل عالمًا بأشهر نجوم الإباحية. في السابق ظللت لسنوات أسيرًا قيد الالتزام الوهمي، الشكلي، المجبر عليه لا المختار له، سجين عادات وثقافات تعتبر الجنس أو الحديث عنه كبيرة وجرمًا عظيمًا. فلم يجب أحدٌ علىٰ تساؤلاتي، أو يراعي عاطفتي واحتياجي، ويقومني دون القتل أو القضاء علىٰ طبيعتي كبشر، لي شعور وأحاسيس.

وكما هو الحال دائمًا، الممنوع مرغوب، فأصبحت النفس تشتهي ما حرمت منه؛ لأنها لم تقتنع أبدًا بسبب النهي والتحريم والتجريم لهذا الأمر. وكيف لا نُذنب ونحن من قالت فينا الملائكة، " أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" فلمَ التعجب أيها العقل البالي؟!

امتلأت بداخلي كل أوعية الشهوة تجاوبًا وتأثرًا بما أشاهد يوميًّا من أفلام ومشاهد إباحية، ولا أجد لذلك تنفيثًا ولا مخرجًا تتسرب منه

عواصف الرغبة، ولا شيء يسد احتياج غريزتي المثارة، حتىٰ إن تلك الخبرة الجديدة التي اكتسبتها للمتعة المؤقتة لم تجِدِ نفعًا، فقد منحتني العادة السرية متعة كنت أبحث عنها، لكنها كانت ناقصة.

رغم ما كان يفعله خيالي من استدعاء لأبطال تلك الأفلام ومداعبة أفكاري لي بأنني بطل من أولئك الأبطال.

لم تمت بداخلي كل أحاسيس الخوف والندم، أو الإحساس بالذنب، وحتىٰ في عز ممارساتك لعاداتك السيئة، هناك زاوية في قلبك تنبئك أنه ما زالت داخلك نبتة خير تؤنبك علىٰ أفعالك، فربما تُسقيها فتهزم ما هو سيئ بك، وبالأخص لأنني أنتمي لأسرة محافظة متدينة، وأنا أيضًا منذ نعومة أظافري أتردد علىٰ كتاتيب المساجد وأحفظ القرآن حتىٰ أصبح هذا سمتي وطريقي.

ويزداد هذا الإحساس بالندم دائمًا بعد تفريغ طاقتي وشهوتي المحترقة بداخلي، تذهب لذة الشهوة وتبقىٰ آلام الندم بعد نكاح يدي، الذي صار هو الآخر عادة لي لا تنقطع، وطقسًا من طقوس حياتي، فدائمًا يأتي الندم والتفكير في عِظم الأمر بعد فعله، وقبله يكون القائد لنا

الاحتياج والرغبة لا العقل الذي يفيق بعد زوال التأثير الوقتي لتلك اللذة.

ظلت حياتي فترة ليست بالقصيرة علىٰ هذه الحالة، وظل أيضًا بداخلي هذان الشخصان، رجل أتقنع به نهارًا، وآخر يظهر ليلًا، عندما يختفي ضوء النهار وترتخي أستار الليل، شخص في العلن، وشخص من خلف ستار وشاشة ولوحة مفاتيح واسمٍ وهميٍّ. وما زالت الحرب قائمة بينهما، أيهما يسيطر علىٰ مقاليد نفسي، ويكون له الزمام وينتصر علىٰ الآخر. قد ينتصر أحدهما علىٰ الآخر فترة قليلة، أو تختفي تطوعًا الشخصية الأخرىٰ وقتًا من الزمن، فأكون مثلًا راهبًا عابدًا، أو شابًّا لا يحمل بداخله إلا شهوة دائمًا، أُبدي عكس ما أُخفي، شخصية مركبة أو شخصين في وجه واحد.

وكلما أتظاهر بأني في غاية الثبات والاتزان، أضيع أكثر في فجوة أحزاني وممارساتي العقيمة، وأفتح طريقًا لهلوسات تبتلعني من الداخل؛ فالناس تنظرني سليمًا معافًى، وأنا من الداخل ميتٌ متآكل.

تحت مقصلة الذنب

لقاء جديد وبوح جديد..

لكنه هذه المرة بدأ من الطبيب، وكأنه أراد تغيير نمط اللقاء، يبدأ هو بالحديث معلقًا عن كلام طارق السابق قائلًا:

- تحدثت في حكيك السابق عن ندمك وإحساسك بالذنب، أظنه كان يلازمك دومًا، وهو الآن ينغص عليك حياتك، قبل أن تكمل وقبل أن أعرف، أريد أن أتحدث معك في هذا، ولعله أيضًا يعينك علىٰ حكيك القادم، فدمعة واحدة فقط تسقط منك تحمل ما انفجر فيك من وجع، فتلك الدمعة قادرة علىٰ التهام أشلاء ما تبقىٰ من روحك، تحرقك ولا تطفئ غير برودة أعصابك التي أسكنتك الفراغ وشغلت حيزًا من الفكر، هل يقبل الله دموعنا كهدايا؟! كاعتراف منا بانحدارنا نحو الأسفل؟! هذا اللهب داخلك لن يأكل سوىٰ نفسه.

حسرات ووجع، يصيبك بالشلل قبل أن تعلم أنك مصاب بالإيدز من عدمه، لكني قبل أن أبدأ سيكون بيننا اتفاق.

- ما هو؟

- بعد حديثي عن الذنب وتأثيره في المرض النفسي ستسترسل أنت في الحكي من الآن وحتىٰ الجلسات القادمة، سأسمع منك وأدون فقط، وسيكون تعقيبي وبرنامج العلاج في نهاية جلسات البوح.

علىٰ مضض وافق طارق، ثم استرسل الطبيب في الكلام:

- الإحساس بالذنب، ذلك الشعور النبيل والذي ينبئ بوجود الضمير علىٰ قيد الحياة، علىٰ الرغم من أنه من الأمور الحميدة والمطلوبة؛ إلا أنه قد يكون سلاحًا فتاكًا للنفس، يقتلها بدلًا من أن يقومها، يجلدها بدلًا من أن يأخذ بيديها، وأثبتت دراسات عدة أنه أحد أسباب القلق والخوف المرضي، بل من الأسباب القوية خاصة عند المجتمعات العربية والمجتمعات المتدينة. ينشأ بعد ارتكاب ذنب ما، خاصة من الملتزم دومًا، أو من تربىٰ علىٰ الالتزام. يبدأ بتأنيب ضمير محمود ومطلوب للتوبة والكف عن هذا الذنب، لكنه سرعان ما يتحول عند بعض الناس ليصير وسواسًا ومنبعًا للقلق الدائم، وتذكر الذنب في كل وقت، والخوف من

عدم قبول التوبة، ومن هنا يبدأ العقل في تخيل سيناريوهات عدم القبول للتوبة بدلًا من أن يهتم بطرق التوبة والإقلاع عن الذنب، تجده يبحث عن العقاب وما قيل فيه ويأتيه وسواس من العفو والمغفرة، يجلد ذاته في لحظة ويؤنبها علىٰ فعلتها، فيتحول سلاح التقويم إلىٰ هلاك ويأس من رحمة الله وقبوله، ومن ثم يأس من الحياة لأنه قد خسر الآخرة، وخسر عبادته السابقة، وأحيانًا يكون عند بعض الناس بأمر مختلف بأنه يطمئن لمغفرة الله في الآخرة لكنه مع ذلك يشعر بأن ثمة ثمن في الدنيا عليه أن يدفعه وأن الأمر لن يمر مرور الكرام، فتجده دائمًا في ترقب لأصعب وأشد المآلات والعواقب، يفكر حتىٰ في الذي لا تكون له نسبة منطقية للحدوث، فيكون ذلك الشعور المقوم هو شعور مثبط، وبعضهم يترك سبيل الالتزام بالكلية وأن الأمر قد انتهىٰ وقد خسر كل شيء، وهنا تكون التربية الدينية أمرًا شديد الأهمية، التربية الصحيحة، التي ترشد الفرد أن التوبة جعلت لأن الذنب أمر حتمي، وأن كل ابن آدم خطاء، وأن الجنوح للشهوات والخطأ والشطط طبيعة إنسانية، لكن تختلف من

إنسان لآخر في أمر واحد، ليس في الارتكاب؛ فكلنا نخطئ، ولكن فيمن يراجع نفسه ويتراجع، وفيمن لا يشعر بأي ذنب أو تأنيب، فلا تفريط في ذلك الشعور ولا إفراط.

لم يخلقنا الله ملائكة منزهين عن الخطأ، ولا أنبياء معصومين، نحن بشر نخطئ ونتوب، لا بد أن نعرف أن الكره يكون لذلك الخطأ وليس لأنفسنا، نفوسنا وقت الخطأ تحتاج لمن يربت عليها قبل من يعنفها، تحتاج من يطمئن مخاوفها، أرأيت كيف تعامل النبي صلىٰ الله عليه وسلم، مع ذلك الشاب الذي أتىٰ له يأخذ منه فتوىٰ للزنى، نعم لم يأت لشيخ ولا داعية، بل ذهب لرسول الله، ما كان من النبي إلا أن وضع يده علىٰ صدره بحميمية وقال صلىٰ الله عليه والسلم أترضاه لأختك؟! لم يعنفه النبي؛ تعامل معه بلطف ولين، كذلك نفسك التي تجنح وتفكر في الخطأ، تحتاج منك أن تقترب منها، لا أن تتنصل من فعلها، أحيانًا نغلق علىٰ أنفسنا بابًا واسعًا، ونتذكر فقط أن ذنبنا كبير وننسىٰ أن الله أكبر، نستثني أنفسنا من رحمة الله، مع أن المولىٰ لم يستثنِ ذنبًا من التوبة، وقال:

"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ". وهنا عدة خواطر.

قال عنهم عبادي علىٰ الرغم من أنهم أذنبوا، بل أسرفوا في الذنوب، ولم ينف عنهم أنهم عباد، إذن الذنب سمة حتىٰ العابدين، لكنهم عن غيرهم ما يميزهم عودتهم وعدم رضائهم عن الذنب، والأمر الآخر، نهيٌ من الله عن القنوط من رحمته واليأس من غفرانه، أخي.. مصيبتك في اليأس من رحمة الله، قد تكون أكبر عند الله من ذنبك الذي ارتكبت، الخطأ من طبيعة البشر، والذنب أمر جبلنا عليه، وكما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم، من منكم دون خطيئة؟ بل كما قال ابن القيم، إذا يئس الشيطان أن يعيدك للذنب يأسك من مغفرة الله لك، فلا تركن لذلك الإحساس المثبط، لا تغفل عن كل آيات المغفرة والرحمة، لا تسمع لصوت الشيطان والذي تمثل تلك المرة ليس في نفسك الأمارة بالسوء؛ بل في نفسك اللوامة، ولكن لوم مبالغ وجعله سلاحًا ضدك، كلنا نخطئ لأننا بشر، كلنا نذنب وربنا أعلم بنا، فكان من أسمائه التواب الغفور والرحيم والعفو، الله غني عن أن يعاقبك أو يبتليك كما تظن في

الدنيا، الدنيا لا تساوي عند الله ليجعلها مقياسًا أو عقابًا، لو كان كذلك ما سقىٰ منها كافر شربة ماء.

سامح نفسك، وتعلم من أخطائك، وابدأ من جديد، فنحن لا نتعلم بدون أن نخطئ.

لا مزيد من المزايدة على إيماننا بالله، بل نتجرد في حضرة وجوده، حتى نصير لمصيرنا المحتوم من جنة أو نار، وكأننا نقول له "هذه حقيقتنا فعاملنا برحمتك وجبرك ولا تعاملنا بذنوبنا وإساءتنا إليك أمامك "فأنت الرحيم الملك، ونحن الظالمون العباد". اقبل ضعفك، فأنت بشر، والضعف جزء من بشريتك. تجاوز فشلك، وحاول مرة أخرى، فلا طعم للنجاح من دون تذوق الفشل. لا يصح أن يقول رسولنا "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"، ونحن لا نقبل أخطاءنا ونقف ونوقف الدنيا والحياة عندها. لا يصح أن يقول "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"، ونحن لا نحترم ضعفنا ولا نقبل فشلنا.

وكيف يعلمنا ربنا أن نكلمه ونقول له "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"، ثم ننصب لأنفسنا المشانق كل يوم.

من اليوم.. من الآن.. من هذه اللحظة.. لا تسمح لأحد أن يسلبك حق الخطأ.. ويعطيك مكانه الشعور بالذنب، لا تسلم مفاتيح قبولك لنفسك لأي أحد، ثم تنتظر منه القبول والرضا، لا تنتظر صك الغفران من أي بشر، مهما كان، مهما كان.

❋ ❋ ❋

وراودته

في ليلة من هذه الليالي التي أرحل فيها إلىٰ هذا العالم الافتراضي باحثًا عن متعتي، وفي أثناء تنقلي بين هذه المواقع الإباحية، وجدت نفسي في موقع يحوي بداخله عالمًا آخر، أو مكان غريب في هذا العالم الافتراضي.

موقع رواده وسكانه أناس تجمعهم ميول ورغبات خاصة، ومصطلحات لا يفهمها غيرهم، بل هو عالم آخر كما قلت، يسميه أصحابه عالم "GAY" أو المثلية الجنسية، تعرفت عليه من صفحة بين صفحات أحد مواقع التواصل الاجتماعي، اجتمعوا فيه هاربين من واقع لا يقبلهم ولا يقبل ميولهم، فكانت لهم هذه الصفحة، وغيرها من الصفحات، دولة صغيرة لهم، يجتمعون فيها ويناقشون أمورهم.

أخذت أتابع هذا العالم وهذه الصفحة من بعيد، وأنا أتعجب من ميولهم، وأتعجب أيضًا من عدد أعضاء هذه الصفحة.

كنت أعلم بوجود هذا النوع من الرغبة الجنسية كمعلومة فقط، وأنها ظاهرة غريبة إلىٰ حد كبير، ما كنت أظن أن تكون قريبة منا بهذا الشكل،

وينتمي لها كل هذا العدد الكبير الذي يمثل محافظة واحدة وهي الإسكندرية، ومن الممكن أن يكون من ضمن أهل هذا العالم أحد نعرفه أو صديق لنا فكانت الصفحة تسمى"**Alexandria Gay**".

تجاوز أعضاؤها خمسين ألف عضو. أعلم أنه ليس بالضرورة أن يكون كل أعضاء هذه الصفحة من الإسكندرية، لكن علىٰ الأقل من الممكن أن عشرة آلاف منها والباقي من غيرها، خصوصًا وأن هناك صفحات أخرىٰ بهذا الاسم لمحافظات أخرى، وأيضًا بمسميات مختلفة.

أخذت أنظر إلىٰ منشوراتهم وتعليقاتهم من بعيد دون مشاركة، وكأني أنظر إليهم من وراء ستار، وجاء في خاطري سؤال، هل كلهم مثليون يستترون خلف اسم وهمي وصورة رمزية خوفًا من أن يتعرف أحد عليهم فيعرف ميولهم التي يرفضها المجتمع وينبذ صاحبها؟

فأنا مثلًا، رغبتي رغبة طبيعية كشاب في مرحلة المراهقة له ميل طبيعي للجنس الآخر ومع ذلك أتخفىٰ وأتوارىٰ لأنني أحاول إشباع

هذه الميول بوسائل يرفضها ديني وتقاليد مجتمعي، أما هؤلاء فرغبتهم ليست طبيعية وشاذة عن قيم المجتمع، بل عن فطرة الإنسان التي فطره الله عليها.

ثم اتبعت السؤال بأسئلة أخرىٰ في نفسي

- هل هذه طبيعتهم ورغباتهم؟ أم لهم ميل جنسي طبيعي ولكن سُدَّ السبيل إليه فبحثوا عن أمر آخر ينفث ما بداخلهم من شهوة؟ أسئلة لم أستطع الإجابة عليها، خصوصًا وأنني لا أعلم الكثير عن هذا العالم وأهله ولا أستطيع من خلال هذه المنشورات والكلمات أن أعرف ما بداخل هذه النفوس، لكن يبدو أن لهذا العالم فلسفته الخاصة وقناعات في نفوس أهله.

توالت الليالي، وفي كل ليلة وأثناء تجوالي بين مواقع هذا العالم الافتراضي أطل علىٰ هذه الصفحة التي تحوي هذا المكان الخاص في هذا العالم، وكالعادة أتفقدهم وأتابعهم دون مشاركة وكأني أنظر إليهم من طرف خفي، عرفت الكثير عنهم من كثرة منشوراتهم وتعليقاتهم ونشاطهم الدائم علىٰ الصفحة.

لم أكن أعلم أن مروري اليومي علىٰ هذه الصفحة هو خطوة من الخطوات التي أسير بها نحو خطأ أكبر، وتتبع هذا العالم لم يكن مثل غيره من المواقع. كان فضولًا مني وحب استطلاع، ليس من أجل الشهوة والرغبة الجنسية، لقد كان لذلك مواقع أخرىٰ أعرفها وأزورها باستمرار؛ كانت هذه الصفحة آخر محطاتي اليومية قبل نومي بعد مواقعي الأساسية التي أتشبع فيها من غايتي فكنت ألقي عليهم نظرة تفقد عابرة لذلك، لم أظن أن زياراتي العابرة هذه ستكون خطوة لما هو أكبر من ذلك.

بدأ الأمر يتطور بعد أن مللت من هذه المواقع وتلك المشاهد، فأصبحت نفسي تتوق لما هو أكبر من مجرد المشاهدة؛ فما عادت تروي ظمئي كما كان في البدايات، وبدأ احتياجي الأكبر للممارسة العملية، فبدأ ترددي علىٰ هذا العالم "GAY" يزداد؛ لأني وجدته الأقرب للعملي، وفيه ممارسات حية، ومناقشات وتعليقات تتعدىٰ حدود الأفلام التي أكون فيها فقط مشاهدًا، فأصبحت تلك الصفحة هي ترددي الأول والأكثر وقتًا لي في كل ليلة أجلس فيها علىٰ حاسبي راحلًا إلىٰ هذا العالم الافتراضي متنقلًا بين مواقعه.

أصبحت عارفًا بمصطلحاتهم من كثرة مروري علىٰ منشوراتهم وتعليقاتهم، كانت كلها طلبات ومواصفات، أحدهم يكتب: **"أنا موجب مواصفاتي كذا وكذا، أبحث عن سالب مواصفاته كذا وكذا ".**

ويقول آخر: **"أنا سالب مواصفاتي كذا وكذا، أبحث عن موجب مواصفاته كذا وكذا".**

ويقول ثالث: **"أنا تبادل مواصفاتي كذا وكذا، أبحث عن تبادل مواصفاته كذا وكذا".**

عرفت أن "الموجب" هو الفاعل، أو يسمىٰ عندهم **"top"**، وأن "السالب" هو المفعول به أو يسمىٰ أيضًا **"bottom"**، أما "التبادل" هو من يتبادل الوضع مع شريكه تارة فاعلًا وأخرىٰ مفعولًا به.

ازدادت رغبتي في الممارسة العملية؛ بعد مللي من مشاهدة تلك المقاطع، وكثرة ترددي علىٰ هذه المواقع الإباحية، فلم تعد تشبع رغباتي أو تروي ظمئي. فكرت فيما يفعله هؤلاء الشباب، كمجرد فكرة في بداية الأمر، ثم ما لبثت إلا قليلًا وبدأت أُفكر جديًّا كيف ستكون أول ممارساتي، كموجب طبعًا، مع سالب أُحدد مواصفاته لاحقًا.

لم يكن الأمر بهذه السهولة، أن أفكر في هذه الممارسة الغريبة والشاذة وبالطبع المحرمة، ولكنها تلك الخطوات التي تحدثنا عنها من قبل، فقد أَلِفَ قلبي المعاصي واعتلاه الران فأصبح لا ينكر عليَّ منكرًا، وأصبحت أسير شهوتي تسوقني المتعة.

وجدت الأقرب لي أن أكون فاعلًا "موجب" لو أردت الدخول إلىٰ هذا العالم"**GAY**"، لأنني رجل أشعر برجولتي ولستُ مفعولًا به ولا متبادلًا. لكن عادت إليَّ الأسئلة مرة أخرى، هل هم أيضًا مثلي ذهبوا إلىٰ هذا العالم لأنهم لم يستطيعوا تفريغ شهواتهم الجنسية بشكل طبيعي مع النساء؟ أم إنهم لا يرغبون في النساء وكل ميولهم للرجال فقط؟! وعلىٰ أي أساس اختار بعضهم أن يكون "سالبًا" والبعض أن يكون "موجبًا" والبعض مبادلًا؟

لا بد أن هناك شيء في نفوسهم غيري؛ فلو كانوا مثل حالي لا يستطيعون أن يمارسوا الجنس مع النساء فذهبوا للرجال لكان جميعهم "موجبًا"، ولن يكون هناك "سالب"، أو "مبادل"، إذن لكل واحد

منهم إحساس، ولهذا العالم فلسفة خاصة وقناعات تحكمه، قد تكون بعيدة عن مجرد تفريغ شهوة أو ممارسة جنسية تشبع حرمانًا.

ظلت هذه الأسئلة حائرة في رأسي لا أجد لها جوابًا، وظللت في كل ليلة أتردد علىٰ هذه المواقع، وتتولد لدي رغبة في أن أكتب منشورًا فيه مواصفاتي ومواصفات هذا السالب الذي أحتاج إليه، لكن في كل مرة كنت أعود عن رغبتي وأحتقر نفسي والفكرة؛ لأنني لم أرغب يومًا في ممارسة الجنس المثلي، ولأنني لست كذلك، بل رغبة تظهر في وقت ذروة شهوتي، وتذهب بانخفاضها.

* * *

في مرة من المرات التي كنت أتابع فيها منشورات الأعضاء في هذا الموقع، الذي أصبحت أتابعه يوميًّا، وجدت فيها عضوًا نشطًا يدعىٰ "رامي"، كانت منشوراته غيرهم كلهم، وكأنه المنظر لهذا العالم، يعرف دواخله ومعانيه.كان يكتب كثيرًا عن المثلية، وأنها شيء لا يدعو للعار، شيء راقٍ ولا بد أن يعرف ذلك المجتمع.

استوقفني منشور طويل له كان يتحدث فيه إلىٰ الأعضاء شارحًا فكرته عن المثلية قال فيه: **"ياريت كل موجب موجود هنا عشان مش**

لاقي بنات يخرج من صفحتنا، إحنا مش مجرد شهوة، المثلية شعور زي الاستريت بالظبط، ويا ريت كل سالب ما يرخصش نفسه مع أي واحد موجب، لازم يكون مثلي معترف بالمثلية مش مجرد شهوة لحد ما يتجوز، بس أرجع واقول إننا اللي بنرخص نفسنا؛ لأننا بنتعامل مع بعض زي سوق النخاسة، كل واحد بيعرض وزنه وشكل جسمه والموضوع بقى جنس بس، المثلية يعني حب وعشق وتبادل شعور ورومانسية، وكمان إحنا مش مرضى، وما تخليش حد يتعامل معاك على كدا، ولا مذنبين، لأن ربنا اللي خلقنا كدا، واحنا مش بنئذي حد، وفيه مننا الملتزم اللي بيصلي واللي مش ملتزم "

انتهت رسالته التي أجابت عن بعض الأسئلة في نفسي، فرواد هذا العالم لهم ميول خاصة بهم، وليسوا بالضرورة محرومين من النساء؛ بل ليست لهم رغبة فيهن.

غير أن حديث رامي لم يقنعني بأمرين: أنهم ليسوا مرضى، وأنهم غير مذنبين، خصوصًا الأمر الثاني، فأنا متأكد منه لخلفيتي الدينية، هم

مذنبون لأن هذا الأمر يُعد من الكبائر، لكن كونهم مرضىٰ هذا لا أستطيع أن أجزم به.

أحسست من هذه الرسالة أنني المعني بالكلام؛ لأنني لست "مثليًّا" بل أنا أتصبر بذلك عن شيء لا أستطيع الوصول إليه.

احتراق في زاوية الجسد

تدور الأفكار في رأسي لتختلق عالمًا آخر من المراودة، والهاوية في قلبي تزداد ويتضح لي عمقها، والمزيد من الأحاجي تتفتح أبوابها وسراديبها داخلي، هل أنا قادر علىٰ حل اللغز؟ أم أنا مجرد دخان لحريق قد اشتعل وتوهج ووهن وتبخر، ولم يتبقَّ منه سوىٰ رائحته الخانقة، هل فعلًا نحن خلقنا لنعبد، أم لنعصي فنتوب، ثم نعصي، ثم تتحجر مشاعرنا داخل قلوبنا، ثم نقرر توبة وعدم عودة؟! وهل هذا الذنب هو عبادة؟! فنحن خلقنا لنعبد، فهل اقتراف الذنب الذي يقربك للإله عبادة؟

- كل تلك الأحاديث يجول بها خاطري، أأنا جننت يا دكتور؟

-لم تجن يا طارق أنت بشر تصيب وتخطئ فكن علىٰ يقين أن الله ما كان ليخلق عبدًا ويتركه لشهواته، ما دامت هناك نفس لوامة، توبخك حين اقتراف الذنب، لطالما منحنا الضمير لنتجاوز كل هذه الأفعال، ونوقف عندها أنفسنا وننهيها حين بدئها، فلكل قلب بشري قدر معين

من الصبر علىٰ الأساليب الوقحة، وبعدما تفرغ النفس الأمارة بالسوء كل طاقتها أو بعض منها، لا بد أن تستفيق النفس اللوامة وترجعنا إلىٰ صوابنا، ستظن لوهلة ما أنك خسرت كل شيء، ذلك الوقت بالتحديد هو الوقت الذي ستتدارك فيه نفسك لتعود من حيث أتيت علىٰ يقين أن ربك عفو رحيم، رحمن غفور، إن الله عظيم، وكم (ذلة ستروذنب غفر) وطوال ما تكرر دعوتك إليه بالتوبة والرجوع والإنابة فإنه قريب "يجيب دعوة الداعي" فالسلام علىٰ أرواح قد أشقتها أوجاع الذنوب، وأثقلتها الهموم والخطايا، فقرأت قول الله تعالىٰ " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهَّ إِنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"، وسلام علىٰ قلوب أيقنت أنها لن تخيب ما دامت أودعت قلبها بيد البارئ، لأن الأمر حين تستودعه الله يخرج من حولك إلىٰ حوله، يفر من ضعف حيلتك إلىٰ أمن رعايته، فأمام الله الكسرة رفعة، والخشوع فوز.

الصالح يا طارق ليس من يهجر الذنوب وينأىٰ بمعزل عن البشر، ولكن الصالح من علم أنه هالك دون الرجوع إلىٰ الله، وأن التوبة طريقه

إلىٰ النجاة، كل واحد منا يعلم في صميم نفسه أن الله يحبه ويسخر الكون من أجله، حتىٰ لو غاب حبه لنا تحت أطنان من الذنوب، فهو موجود، فقط نبحث عنه.

لو أراد ربك للبشر أن يعبدوه دون ذنب ودون ترك عبادة لأرسل بشرًا ملائكة يعبدوه رغمًا عنهم.

اعتدل طارق في جلسته، أثنىٰ رأسه للأمام بعد أن وضع كفيه علىٰ رأسه كمن يبحث عن ملاذ، ثم عاود الحديث.

* * *

في اليوم التالي لهذا المنشور الذي كان يتكلم فيه "رامي" عن حقيقة المثلية الصحيحة علىٰ حد وصفه أو عالم "**GAY**" كما يطيب لهم تسميته. نشر منشورًا آخر وكانت كل هذه المنشورات تظهر في جانب الصفحة؛ لأنها من الأعضاء وليست من مسؤول الصفحة، ولكن هذا المنشور نزل أيضًا باسم الصفحة، وأيضًا باسم "رامي" علىٰ الجانب، فعرفت وقتها أنه المسؤول عن هذه الصفحة، ولمَ لا فهذا أمر منطقي فهو الأكثر دراية وتحدثًا عن هذا العالم، ودائمًا يظهر في منشوراته بالمُنظر والمعلم لهذا النوع من الممارسة.

وكان لهذا المنشور الآتي أهمية خاصة؛ لأنه احتوىٰ علىٰ نقلة نوعية ودعوة غريبة يدعو فيها من يرغب من الأعضاء في التجمع والخروج والتعرف الواقعي بعيدًا عن هذا الفضاء الإلكتروني في مكان يتفقون عليه لاحقًا والموافق من حيث المبدأ "يضرب لايك"، هكذا كان لفظه في المنشور الذي كان نصه:

"عندي اقتراح إننا نتفق علىٰ مكان وننزل نتقابل فيه كلنا، وأهي فرصة للتعرف برضه ونروَّح عن نفسنا ونتكلم في مشاكلنا ونسمع من بعض، هو احنا هنفضل طول عمرنا كائنات فضائية؟! لأ طبعًا لازم نخرج ونتقابل زينا زي أي شلة ومجموعة، إحنا مش المفروض نكون مستخبيين طول عمرنا، أنا عارف طبعًا إن الموضوع هيبقىٰ غريب لناس كتير ومفاجأة والعدد ممكن يكون قليل بس مش مشكلة، بعد كدا ممكن ناس تانية تتشجع، بس نعمل ولو مرة مقابلة ناجحة، وطبعًا مش هييجي غير المقتنع بالـ "GAY" مش اللي بيتسلىٰ وعايز يعط وخلاص، يلا يا شباب اللي موافق بالمبدأ يضرب لايك وبعد كدا نحدد ونتفق علىٰ المكان والميعاد".

هكذا كانت دعوته الغريبة، علىٰ الأقل لي، وهكذا كان نص منشوره الذي شهد أول تفاعل عملي لي في هذه الصفحة، فكانت أول "لايك"

مني، لا أعرف كيف فعلت ولماذا فعلت فأنا دائمًا المتواري والمختبئ، فكيف يكون أول تفاعلي علىٰ أمر يدعو للظهور العلني؟! ربما لأن الفكرة وافقت رغبة بداخلي حتىٰ وإن كان العقل يرفضها ويخاف منها، ضغطت "لايك" دون تفكير بدافع من تلك الرغبة ربما، فما لبث هذا المنشور إلا ثواني وانهالت عليه التعليقات، بعضها رافض وكان متوقعًا، وبعضها بدأ يسأل عن الكيفية والمكان، والبعض الآخر استبعد التنفيذ، مع بعض اللايكات التي فيما يبدو تعبر عن الموافقين المنتظرين لتحديد الموعد والمكان وكانوا لا يتعدون الثلاثين معجبًا.

ثم بعد هذا المنشور بحوالي ساعة نزل منشور آخر باسمه واسم الصفحة أيضًا، وكان يحتوي علىٰ التفاصيل والردود علىٰ بعض الأسئلة من الخائفين من الفكرة، وكان نصه:

"قشطة يا جماعة أنا جالي رسايل كتير ع الخاص من ناس موافقين واستعجلوني في تحديد الميعاد، ورسايل تانية من ناس عايزة تيجي ومقلقة، إيه رأيكم في يوم الخميس الجاي الساعة 6 نتقابل عند كوبري استانلي، ولما نتجمع هنروح كافيه ع البحر بتاع واحد صاحبي قوي ومتفهم موضوعنا قوي، وما حدش يقلق بتبقىٰ فاضية عشان إحنا في الشتا، يعني ممكن

نكون إحنا بس فيها، وبالنسبة للناس اللي خايفة إحنا هنتقابل كشباب عادي يعني، مش هيكون مكتوب علينا"GAY"، وهنتكلم وهنتعرف على بعض، وهيبقى يوم جامد ونبقى برضه شفنا بعض ونتجرأ شوية، أمال ازاي عايزين الناس تقبلنا واحنا في عالم تاني، المهم بس دلوقتي يكون معانا حوالي عشرين واحد عشان الموضوع يتم على الأقل ونتشجع ليه ولو ما وصلش لكدا يبقى نأجل لحد ما يكون معانا مجموعة كويسة نخرج مع بعض".

هكذا كانت رسالته التي حدد فيها الموعد يوم الخميس، وكانت الرسالة يوم الثلاثاء، بعد رسالته بحوالي عشر دقائق تمم على الموعد، وأكده بتعليق على هذا المنشور كان نصه:

"تمام يا شباب على اتفاقنا فيه ناس بعتت لي رسايل وناس عملت لايك موافقة كدا على ميعادنا بقى أوك".

وبعد أن تأكد الموعد وتم الاتفاق شعرت بشيء من الخوف والتردد، سينتقل الأمر إلى الواقع، سأقابل هؤلاء الشباب، سأراهم ويروني، وبدأت نفسي توسوس لي، ماذا لو كان من الحضور أحد أعرفه أو يعرفني، سيفتضح أمري، فكنت أميل أحيانًا إلى عدم الذهاب، ولكن

حب الفضول والرغبة التي تدفعها الشهوة كانت تفكر في حلول لأي مشكلة تطرأ من جراء وسواس نفسي حتىٰ لا أستسلم لعدم الذهاب.

جاءتني فكرة أن أذهب في الموعد أو قبله بدقائق، وأجلس علىٰ كافيه قريب أو ما شابه ذلك، وأنظر إلىٰ تجمعهم من بعيد، وأرىٰ الجمع هل فيه أحد أعرفه فلا أنضم إليهم إلا بعد أن يجتمعوا ويذهبوا إلىٰ الكافيه.

أقنعت نفسي بهذه الفكرة، وأخذت نفسي تذلل العواقب كي أذهب، ولكن بقي شيء من الخوف، لكن العزم علىٰ الذهاب كان أكبر منه، بل أصبح أكيدًا.

في هذه الليلة التي سبقت يوم التجمع لم أنم إلا متأخرًا، رغم أني استلقيت علىٰ سريري مبكرًا، وسكنت تحت غطائي، لم يكن من أجل النوم؛ ولكن حتىٰ تستريح أعصابي قليلًا من التفكير والتردد، وفي هذه الليلة أيضًا أغلقت الحاسب في وقت قبل الوقت المعتاد بكثير، فالأمر تعدىٰ هذا العالم الافتراضي وقد عرفت كل شيء عن الموعد والمكان، ولن يزيدني التصفح في هذا الوقت سوىٰ المزيد من الحيرة والتردد عندما تقع عيني علىٰ تعليقات بها تخوفات من بعض الأعضاء من هذا اللقاء،

فتثير بداخلي الريبة مرة أخرى، وأنا أحاول أن أتهرب من ذلك، فكان صوت الغريزة والفضول أعلىٰ من صوت العقل، أو حتىٰ الأسئلة المنطقية التي من المفروض أن أبحث لها عن إجابة، فعندما نعزم علىٰ أمر نهواه لا نفكر إلا فيما يحقق لنا هذا الأمر، ونبتعد طوعًا عن كل سؤال مشروع ومنطقي هربًا من موانع تنفيذ ما نصبو إليه.

مرت عليَّ أوقات طويلة وأنا علىٰ سريري وفوقي غطائي، وأنا بين النوم واللانوم، أحيانًا أظن أن الامر كله مجرد منشورات وتعليقات وعالم افتراضي، فكيف أقابل في الغد أناسًا يصرحون "باللواط "وكبيرة من الكبائر دون خجل أو خوف من الله؟ نحن مهما كنا في بلد عربي، ومصر بلد الأزهر والتدين الطبيعي، هكذا كنت أقول عندما أفكر بما كنت أقتنع به من قبل، عندما أفكر بسجيتي ونشأتي وفطرتي وعقيدتي الطبيعية، لكن كنت أعود وأقول هذا ما كنت أظنه من قبل، فالأمر حقيقي، وهذا العالم موجود بالفعل، بل وينتمي له الكثير، كوني لم أتخيل من قبل وجوده، فهذا لا ينفي حقيقة وجوده، وخير دليل موعد الغد، حقًّا ليس كل ما لا تراه العين ليس موجودًا؛ هو موجود ولكننا نوافق علىٰ أن نُخدع.

كنت مشوشًا، لا أعرف لماذا أنا ذاهب، هل بالفعل للانضمام لهذا العالم وهؤلاء الشباب، أم حلقة في سلسة الممنوع مرغوب، والبحث عن باب من أبواب المتع؟

مع إحساسي دائمًا بعظم هذا الذنب والذنوب الأخرىٰ التي كنت أفعلها إلا أنني كنت أشتهي فعلها، ليس لعدم الخوف من الله؛ ولكن هو التسويف والتبرير والتمادي.

بعد التعب من التفكير والإرهاق الذهني غلبني النوم، فنمت في وقت متأخر جدًّا، حوالي الثامنة صباحًا، واستيقظت حوالي الثانية بعد الظهر، وأول ما فعلت فتحت حاسوبي وتأكدت أن الموعد لم يلغَ، وإن كان في داخلي أمنية مخفية، أن لو يلغىٰ الموعد، فيكون منهم وأكون أُجبرت علىٰ عدم الذهاب، لكنه أصبح واقعًا ولم يتغير والتأكيد علىٰ حاله.

❋ ❋ ❋

الروح المعرَّاة

تهيأت للقاء وتحركت من منزلي قاصدًا المكان المحدد الذي كان يبعد عن بيتي حوالي ساعة في ظروف المواصلات العادية، إلا أنني نزلت قبل الموعد بساعتين، لا أعرف سببًا محددًا لهذا الاستعجال، أهو قتل لوقت الانتظار الطويل الذي تزيد فيه التساؤلات والحيرة؟ أم حرص علىٰ الوصول قبلهم حتىٰ أبحث عن المكان القريب من مكان التجمع الذي سأجلس فيه، أترقب وصولهم وأرىٰ وجوههم دون أن يراني أحد، حتىٰ أقرر الانضمام من عدمه.

وصلت إلىٰ المكان المحدد قبل الموعد بساعة وجلست علىٰ كافيه بالقرب من مكان الالتقاء أنتظر وصولهم، أخذت طوال هذه الفترة الطويلة أُهيئ نفسي للقاء مع شباب ألتقي بهم للمرة الأولىٰ وليس كأي لقاء وليسوا كأي شباب.

مر الوقت وأنا من حين لآخر أنظر في ساعتي وإلىٰ المكان فلم أجد أحدًا قد وصل حتىٰ إذ ما تبقىٰ علىٰ الموعد المحدد حوالي خمس عشرة

دقيقة وجدت شابين قد وصلا إلىٰ المكان وكأنهما ينتظران أحدًا، فكان أغلب ظني أنهم من شباب اللقاء، وعند تمام السادسة جاء ثلاثة شباب آخرون وقد تجمعوا مع الشابين السابقين، فتأكدت عندها أنهم بالفعل قد حضروا من دعوة الصفحة، فكرت في الذهاب إليهم بعد أن تأكدت أني لا أعرف أحدًا منهم وأن أشكالهم غير مألوفة بالنسبة لي، وذلك لأن مكان جلوسي كان قريبًا سمح لي بالتأكد من ذلك، ولكن قلت سوف أنتظر حتىٰ يذهبوا لمكان الجلوس وهو الكافيه الذي تحدث عنه "رامي"، مر حوالي عشر دقائق أخرىٰ علىٰ الموعد المحدد "السادسة"، فإذا بشابين آخرين قد وصلا وأصبح العدد كله سبعة، ثم بعد ذلك لاحظت أنهم يتحركون فعلمت أنهم يتوجهون نحو الكافيه فتوجهت إليهم مسرعًا وكنت خلفهم وقد دارت بينهم أحاديث ثنائية وأنا منفرد متباطئ وراءهم أقدم رجلًا وأؤخر أخرىٰ حتىٰ اقتربوا من الكافيه وكان علىٰ الشاطئ، وليس بعيدًا عن مكان التجمع الأول "كوبري استانلي" كان خاليًا من الرواد هادئًا.

دخلوا جميعًا وكنت خلفهم وقد تجمعوا علىٰ طاولة مستطيلة الشكل ليجلسوا عليها حسب ما كان يوجههم هذا الشاب الذي كان في

استقبالهم، وكنت أبعد عنهم قليلًا مترددًا من الاقتراب محرجًا؛ فهم قد تعرفوا علىٰ بعضهم لدقائق قبل مجيئي وأنا جالس علىٰ الكافيه، بينما أنا كذلك إذ اقترب مني هذا الشاب الذي كان يوجههم لمكان الجلوس.

قال:

- **"أنت معانا؟"**

فحركت رأسي وبصوت خافت:

- **"آه"**

- **طيب اتفضل معانا شرفتنا واقف بعيد ليه؟**

جلست وأنا أشعر بالتوتر وشعرت أن الكل ينظر لي وأنا الغريب مع أن الجميع غريب لكن هكذا شعرت، ثم كان هدأ الجميع للحظات من حتىٰ اخترق هذا الهدوء الذي كان للحظات صوت أحدهم يقول:

- **"وحدوه يا شباب".**

كان يجلس علىٰ رأس الطاولة، وكأنه يرأس هذا اللقاء، نظر إليه الجميع مبتسمًا، ثم تحدث إلينا:

- **أنا "رامي أليكس"**

هكذا كان اسمه على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي، نظر إليه الجميع في دهشة وأنا منهم تعجبًا؛ فكلامه ومنشوراته كانت توحي بشاب أكبر من هذا الذي نراه أمامنا، يبدو عليه صغر السن، ثم أكمل بعدما لفت الأنظار بالبوح باسمه:

- أنا بجد سعيد بيكو قوي يا شباب، وحاسس إننا هنقضي يوم حلو قوي مع بعضنا، إحنا أصدقاء واخوات، مش عايز أي كسوف أو تكلف ما بينْنَا، ويا ريت كلنا نكون فريش وكل واحد يقول اللي في نفسه، وما حدش يقلق من حاجة، عيشوا حياتكم، بصراحة أنا كنت متوقع يكون العدد أكبر من كدا، خصوصًا إن صفحتنا كبيرة، بس أنا عارف إن فيها ناس دخيلة علينا، وناس خافت تحضر النهار دا، وناس كتير اعتذرت وكانت جاية، وناس كمان كبار في السن المقابلة مش هتنفع معاهم، دا غير كمان إن فيه ناس أصلًا مش من إسكندرية، بس إحنا بقى لما ننبسط مع بعض وننشر على الصفحة نتيجة مقابلتنا والجو الحلو اللي كان فيها متأكد إن ناس كتير هتحب تيجي المرة الجاية وناس كتير هتتشجع، بس قشطة برضه العدد دا كويس عشان نعرف نتعرف قوي على بعض، ونسمع بعض

قوي، ونكون إحنا كمان اللي نفهم للباقي يعني إيه "GAY" وعلى فكرة ممكن ناس تانية تيجي برضه وتضم علينا، هيخرج دلوقتي صديقي وحبيبي الأنتيم "ماندو" صاحب الكافيه يبص برًّا شوية عند مكان التجمع الأولاني ولو فيه حد جه تاني متأخر يجيبهولنا وييجي على ما اعرف نفسي ليكو "وماندو" كدا كدا عارفني يعني.

كان الاسم الثاني الذي عرفته بعد "رامي" هو "ماندو" صديقه، وصاحب الكافيه وهو الذي استقبلني وقال لي "أنت معانا؟"، أصبح العدد الكامل لنا هو تسعة أفراد وشخص عامل في الكافيه، ولكن كان طوال الوقت بعيدًا جدًّا عنا، يقف عند بار صنع الطلبات لا يعنيه أي أمر سوىٰ عمله.

بدأ "رامي" بالتعريف بنفسه حتىٰ يتحمس الآخرون ويذيب جليد السكوت والخجل الذي يسيطر علىٰ بعضنا، وأنا بالطبع منهم فبدأ بالتعريف:

- أنا رامي عادل، أكيد اسم والدي مش أليكس دي شهرتي بس، أنا عندي 26 سنة، مش باين عليَّ صح؟ كل اللي يشوفني يقول شكلك أصغر،

أنت آخرك تكون طالب ثانوي، ملامحي شكلها طفولي شوية، بيبي فيس، بس دا سني بجد، أنا من جليم، وحيد أمي وأبويا، متدلع يعني، خريج صيدلة، شغلي مندوب لشركة أدوية أمريكية لها توكيل هنا، تقريبًا دي كل حاجة عني، حد عايز يعرف أي حاجة تاني عني؟ على العموم هاتكلم كتير وهاوجع دماغكم بس لما نتعرف ع السريع على كله وبعد كدا بقى كل واحد يتكلم بقى عن نفسه وحياته زي ما يحب، ويبقى الموضوع مفتوح اللي عايز يسأل أي حد سؤال، يلا مين يقول أنا ولا نمشيها بالدور؟

تحدث من كان أمام رامي في جانب الطاولة المعاكس:

- **"خليها بالدور".**

قال "رامي" لمن على يمينه:

- **"يلا يا ريس عرفنا عليك".**

نظر إليه متردد:

- **"أنا؟"**

"رامي" مداعبًا وهو يبتسم ابتسامة خفيفة:

- **"آه والله أنت".**

بدأ يعرف نفسه بصوت مهزوز يظهر عليه الإحراج:

- أنا "علي" عشرين سنة، خريج معهد فني صناعي، من بحري، دلوقتي مش شغال، كنت شغال في كارفور وبقالي أسبوعين سايبه بس كدا".

انتهىٰ تعريفه وكأنه يتخلص من بعض الكلمات حتىٰ ينتهي دوره وينتهي إحراجه، ثم كان الذي يليه:

- أنا "وليد" ستة وعشرين سنة، من سيدي بشر، مهندس كمبيوتر، شغال في شركة اتصالات كبيرة، عندي أخ أكبر مني متجوز وأبويا متوفي".

تحدث وليد بثقة كبيرة، لا يبدو عليه أي خجل، بل كان منتظرًا دوره في الحديث، يبدو أن بداخله الكثير يريد أن يقوله، أو ربما يحمل فلسفة خاصة مثل رامي، ويريد أن يتحدث عنها.

انتقلت دفة الحديث إلىٰ العضو الثالث:

- أنا "مينا" 19 سنة، تانية تجارة إنجلش، من ميامي، وعندي أختين واحدة أكبر مني وواحدة أصغر مني".

كان لمينا أسلوبًا مميزًا عن الآخرين، ليس من ناحية الثقة أو الخجل؛ لكن في الطريقة والصوت الرفيع الرقيق الذي يعكس هيئة الجسد الذي

يشبه البنات في مناطق معينة مثل الصدر والأرداف، وحتىٰ ملامح وجهه تبدو عليها الوسامة، كما أنه فاقد لشعر الذقن والشارب، مع بشرته الفاتحة النقية.

استمر الأعضاء بتعريف أنفسهم، وكنت أنا في عالم آخر، أفكر في دوري، ماذا أقول، وهل أقول اسمي ومعلوماتي صحيحة؟ كيف سأتحدث؟ هذه الأسئلة التي طالما راودتني قبل اللقاء.

انتهىٰ الجالس بجواري فجأة من التعريف بنفسه، وأنا هائم في عالم آخر، فوخزني بيده:

- **"اتفضل".**

انتفضت فجأة فقال رامي ضاحكًا:

- **"إيه يا عم اللي آخد عقلك؟"**

انتبهت خجلًا، كان الكل في انتظاري، وهذا ما زاد الأمر عليَّ صعوبة، فبدأت بالحديث بصوت مهزوز ضعيف:

- **أنا"طارق".**

تعالت همهمات البعض اعتراضًا علىٰ صوتي المنخفض، فأعدت الكرة مرة أخرىٰ بصوت أعلىٰ قليلًا:

- **اسمي " طارق"**

قلته مرتين لا مرة واحدة، علا به صوتي في المرة الثانية، سمعه الجميع، فكان أول ظهوري العلني باسمي الحقيقي غير هذا الوهمي الذي كنت أحمله في هذا العالم الافتراضي "القيصر العاشق".

ثم لم أجد بُدًّا إلا أن أُكمل:

- **سني اتنين وعشرين سنة، خريج آداب قسم لغة عربية، من العجمي، لا أعمل حاليًّا، عندي أخ أكبر مني وأخت أصغر".**

هكذا كان تعريفي بنفسي، وكان حقيقيًّا، لم أكذب في شيء، عندما مر دوري وكأن حجارة كبيرة انزاحت من علىٰ صدري، كانت أصعب هذه اللحظات عندما لم يسمعوا اسمي، فكنت أقوله سريعًا، أقوله مترددًا، فإذا بي أقوله مرة ثانية وبصوت أعلى.

عَرَّف كل منا نفسه باختصار ثم عاد الحديث مرة أخرىٰ إلىٰ "رامي":

- **"مين حابب يسأل؟"**

أشار وليد إلىٰ رغبته في السؤال، قال:

- **"ياريت تكلمنا عن دخولك الـ "GAY" إزاي وكدا، وأول علاقة ليك؟"**

هذا السؤال هو ما كان ينتظره "رامي" ليتحدث عما بداخله أو ما يريد أن يرسله لنا فتبسم قائلًا:

"كدا هندخل في التقيل على طول، أنا حد مرح قوي، باحب دايمًا الخروجات والفسح والحرية، مش باحب أزعل، حتى لو زعلت باخرج من زعلي بسرعة مش باخلي حاجة تأثر فيَّ، أما عن موضوع الميل الجنسي "GAY" بعد تخرجي سافرت سنة فرنسا والدي شغله هناك، وأنا اشتغلت هناك سنة واتصاحبت على صديق جزائري وحبيته قوي وحبني وكان هو سالب وأنا موجب وكنا أول مرة نمارس، أنا مارست لأني حبيته وكمان أنا ما عنديش رغبة في البنات وحاولت لكن باحس أكتر مع الشباب، أنا "GAY" عشان كدا باقول إن عالم الـ "GAY" عالم خاص بذاته وهي ميول، مافيش حاجة اسمها "شواذ". زي ما غيرنا يحب يمارس مع البنات أنا باحب الرجالة، إيه المشكلة؟ دي حاجة جوايا، رغبة مش مرض، أو مش عشان مش لاقي بنات، المثلية حب وشعور، أنا إنسان طبيعي، ليَّ ميول معينة، زي أي حد يحب ياكل حاجة معينة، يلبس حاجة معينة، المثلية كدا، ما حدش يا جماعة يخجل إنه مثلي لأن دي طبيعة مش بإيدينا

وزينا زي أي حد، أنا دايمًا رافع شعار "مثلي مثلك"، ويا ريت احنا نعترف بنفسنا ونفخر بكدا لو عايزين غيرنا يحترمنا، وما نسمحش لحد يعاملنا إننا مرضىٰ أو حد يسلبنا حقوقنا".

انتهىٰ كلام "رامي" أو أنهاه حتىٰ يتحدث الجميع ويخرجوا ما في صدورهم. كنت أسمع له بإنصات كبير، وأتدبر كلامه، وإن كان لي رد علىٰ كثير منه، لكن كل همي كان أن أتعرف علىٰ دواخل ونفسية شباب هذا العالم، وأقارنها بحالي وما أشعر به بعدها.

تحدث "وليد" معقبًا علىٰ كلام "رامي":

- أنا مع كل الكلام دا بالحرف، أنا مثلًا حاولت أخطب لكني فشلت في كل مرة لأن طبيعتي مش كدا ومش عارف أفهم حد كدا، أنا مش سالب ولا موجب أنا باحب أكون في حضن شاب أحبه ويحبني بكل حرية نعمل كل حاجة وأي حاجة، يسمعني وأسمعه، نمارس مع بعض كل طقوس الحب، ما يمنعش نفسه مني ولا أمنع نفسي منه، بس يكون زيي مش حد جاي يتسلىٰ أو مش لاقي بنات، وعلىٰ فكرة أنا حد ملتزم قوي وباصلي وشايف إن الموضوع دا مش حرام، أنا مش بافتي

ولا حاجة، بس أنا مش بأذي حد، دي حاجة خاصة بيَّ، أنا مش باتعدىٰ علىٰ حدود حد، أنا أعرف إن الحرام إني أعمل حاجة تئذي حد تاني، أنا عمري ما أهنت حد ولا افتريت علىٰ حد وباحترم أي إنسان، مش عارف ليه المجتمع مش عايز يحترم رغبتي ويحترمني كإنسان مش منحرف أو شاذ، أنا مهندس متعلم وليَّ ميول جنسية معينة.

شعرت بالدوران مستهجنًا ذلك الرفض الذي أعلنه وليد بيننا وهو في غاية الحماس جعلني اتساءل.. ولمَ كان مقتنعًا؟! لِمَ لَمْ يفصح للجميع عن هويته؟

ومتىٰ تأتي هذه اللحظة التي يعلنون فيها إثمهم، وهل نكران الذنب أم توريته بأساليب الكلام المنمق أفضل؟ هم يوارون ذنبهم. كما وارىٰ بنو البشر سوءاتهم، إن لم تكن تلك لعنة قد أصابتني فما قد اسميها؟

كان لدي هاجس أن أقوم وأقول له اصمت يا وليد.. لا تتحدث، أنت تهز أركان السماء من فوقنا.

لا أدري لم صمتت، ولماذا! ولكن جل ما عرفته أنها ما زالت تراودني.

في هذه الأثناء تدخل "رامي" وقطع كلام "وليد":

- إحنا هنثبت حقوقنا يا وليد وكله هيعترف بينا، بس لو بقىٰ كل المثليين نفس تفكيرك ورقيك.

وكان الجميع في سكوت يستمع بإنصات حتىٰ قال "رامي":

- عايزين نسمع حد تاني.

وعندها قد أتىٰ "ماندو" وكان معه صديق آخر فاكتملنا العشرة، فعندما رآه "رامي" قال:

- يا جماعة صحيح ما اتعرفناش علىٰ أنتيمي "ماندو" عشان كان برَّا

فتحدث "ماندو" عن نفسه:

- أنا ماندو، اسمي الحقيقي أمير، عندي خمسة وعشرين سنة، خريج كلية تجارة ووارث الكافيه دا عن والدي، ورامي أقرب حد ليَّ وصديقي الأنتيم، وأنا علىٰ فكرة حد عادي استريت، بس باحترم قوي رغباتكم وأقدرها، لأني متحرر ومتقبل لأي فكرة ما دام صاحبها حاببها؛ لأن دي حرية شخصية.

في هذا الوقت أحسست فعلًا أنه عالم آخر غير الذي كنت أعيشه، عالم يتحدث فيه أناس بكل طلاقة عن أمور نعتبرها من الكبائر، بل ويبررونها، يشعرون بشيء لا نشعر به، بل يوجد من هو عكسهم في الميول ولكن يتقبل الأمر بكل حرية واحترام للآخر لم أعتد عليها في أوساطنا العادية التي تعتبر الاختلاف خلافًا.

وإن كنت أشاهد الأفلام الإباحية وأمارس عادة محرمة إلا أنني ما زلت أقول علىٰ الحرام حرامًا وإن كنت أفعله ما زلت أرفض وأستنكر بعض الممارسات، وإن كنت مجالسًا لأصحابها ما زلت أسمي الأمور بمسمياتها، وإن كنت قد تعاطفت معهم من حديثهم وبعد التعرف علىٰ دواخلهم إلا أن هذا عندي اسمه "لواط" ويعتبر كبيرة من الكبائر، هكذا كان صوت نفسي الداخلي الذي ينطق بمفاهيمي وتربيتي التي نشأت عليها وإن كان فعلي عكس ذلك.

بعد أن عرف "ماندو" نفسه تكلم "رامي" بأسلوبه المعتاد:

شكرًا حبيب قلبي ماندو، إيه يا جماعة عايزين حد تاني يكلمنا عن نفسه.

فلم يتطوع أحد بالحديث فما كان من "رامي" إلا أن قال:

- أنا حاسس إن مينا عنده كتير واحنا عايزين نسمعه.

فتكلم مينا:

- "فعلا أنا جوايا كتير قوي نفسي أقوله من زمان، باحلم بحد يكون متقبل أفكاري ويسمعني، أنا تعبان قوي واللي في قلبي ما اقدرش أحكي عليه لحد، لأنه مش هيفهمني خالص، أنا يا جماعة ميولي شوية أنثوية، يعني بابقىٰ محتاج قوي لراجل يحبني، يضمني، بافرح لما باحس إني بنت لدرجة إني بالبس ساعات لبس من هدوم اخواتي البنات وهما مش قاعدين في البيت، بابقىٰ نفسي أحس إني بنت، أنا فعلًا بنت في هيئة ولد، مش عارف دا مرض ممكن يتعالج ولا طبيعة فيَّ، بس اللي أعرفه إني تعبان قوي ونفسي في رغبات معينة، أنا مارست مرة واحدة مع واحد صاحبي، وكنت سعيد وفرحان جدًّا لأنه حسسني إني بنوتة، بس يا خسارة هو كان استريت، فكان بيتسلىٰ لحد لما يتجوز مش "مثلي" زيي، عند هذه الكلمة تدخل "رامي" في الحوار وكأن "مينا" جاء عند المنطقة الحساسة، قال "رامي":

– دي بقىٰ يا جماعة أكتر حاجة لازم نخلي بالنا منها، إن فيه كتير قوي موجب بيبقوا أصلًا مش "GAY" وبيستغلوا أي حد يكون عنده إحساس سالب أو تبادل عشان يفرغوا طاقتهم، بس لازم نخلي بالنا منهم لأننا كدا بنخلي المثلية حاجة رخيصة وشهوة جنسية بس، مع إنها أكبر من كدا بكتير.

كلام "مينا" جعلني أقترب أكثر فأكثر من هذا العالم، وأعلم أن لأهله نفوس واحتياجات خاصة، فقد تعرفت علىٰ نفسية الفاعل التي يمثلها "رامي" ونفسية المفعول التي يمثلها "مينا" ونفسية التبادل التي يمثلها "وليد" وأيضًا نفسيتي فأنا لست أحدًا من الثلاثة، لكن من الممكن أن أكون الرابع المستغل لظروف، من يحتاج إلىٰ رجل يمارس معه الجنس، فأنا ذلك الدخيل الذي يتحدثون عنه؛ لأن الموضوع بالنسبة لي لا يتعدىٰ سوىٰ احتياج لممارسة جنسية أفرغ فيها طاقتي وليس لي أي ميول غير طبيعية، لكن من الممكن أن أجرب غير الطبيعي كتجربة لنوع جديد من المتعة.

❋ ❋ ❋

خداع على حافة الطريق

كان هناك بعض البوح لأناس آخرين في هذا اللقاء، إلا أن حديث كل منهم لم يضف لي شخصيًّا أي جديد، أو أي إجابة مختلفة عن تساؤلات كانت في نفسي عن هذا النوع من الميل الجنسي، فكل من تكلم غير الثلاثة الذين ذكرت، كان حديثه شبيهًا بأحد النماذج الثلاثة التي أرى أنها تمثل أصناف شباب هذا العالم بكل دقة ووضوح.

أوشك اللقاء على الانتهاء، وقد تحدث الجميع تقريبًا كما ذكرت، حتى من لم يتحدث عن نفسه باستفاضة ذكر نبذة بسيطة أو شارك بسؤال أو استفسار لأحد المتحدثين.

كنت الوحيد الذي يلتزم الصمت منصتًا لكل متحدث، ربما لأني لم أسمع هذا الكلام من قبل ووافق لدي رغبة في الفضول، وربما كان ذهولًا من هول ما أسمع منهم عن ميولهم التي تعتبر بالنسبة لي غريبة، وبالفعل "شاذة"، إلا أنهم أبوا أن ينتهي اللقاء دون سماع هذا الشاب

الذي يبدو عليه الخجل والصمت، الذي لم يشارك إلا بأذنيه فقط، هكذا قال "وليد" قبل نهاية اللقاء:

- بصراحة يا جماعة ما ينفعش ننهي قبل ما "طارق" ما يكلمنا شوية عن نفسه، هو الوحيد اللي ما اتكلمش، مين معايا في كدا؟

الأمر الذي لقي موافقة من الجميع، فكان المأزق لي، لا مفر سوىٰ الحديث حيث الكل ينتظر، أتعرف متىٰ ستصبح مخادعًا؟! عندما تعلم خداعهم وتهز رأسك بنعم.. أنتم علىٰ حق، ولذا بالفعل نزلت علىٰ رغبتهم وقررت الحديث بما في نفسي إلا القليل مما يؤذيهم دون تصنع أو تزييف، فكان حديثي مثلهم من القلب محاولًا أن أتعدىٰ خجلي وتوتري:

– "أنا يا جماعة حد بسيط قوي من أسرة متدينة، وأنا كمان حد المفروض إني ملتزم ومعروف عني الالتزام والصلاح، دا اللي ظاهر للناس، لكن اللي بيني وبين نفسي حاجة تانية، كان بيبقىٰ نفسي في حاجات معينة أعملها زي مثلًا إني أمشي مع بنات زي أصحابي وبالذات وقت الجامعة، وأعيش قصة حب، وأسمع أغاني، واخرج

كتير، واتفسح، بس ما كانش ينفع أعمل كدا؛ لأني كنت معروف بالالتزام زي ما قلت، وكنت عايش دور المصلح مع أصحابي، والواعظ ليهم، لدرجة إنهم سموني "الشيخ طارق"، كبت نفسي قوي، وكنت مش متوافق مع نفسي، وكتمت حاجات هي طبيعية بالنسبة لسني، حتىٰ لو مش محرمة، بس ما تليقش علىٰ صورتي الملائكية اللي كنت معروف بيها، تعبت قوي من الشخصية اللي اتسجنت جواها، اللي بتمنعني حتىٰ وأنا بين أصحابي في الكلية والشارع إني أبين إعجابي بجمال بنت أو مفاتنها، أو أردد كلمات أغنية عجبتني، كل دا خلاني أحب العزلة عن وجودي مع أصحابي، والناس القريبين مني، لأن وأنا لوحدي باهرب من شخص "الشيخ طارق" وباكون بس "طارق"، طارق اللي عنده شغف لحاجات محروم منها، وعشان كنت قافلها علىٰ نفسي قوي، لما باحس بشوية حرية، باعمل حاجات أكتر من اللي كان نفسي فيها وأكتر من اللي كنت بانصح أصحابي ما يعملوهاش، وأرجع أندم قوي، خصوصًا إني عارف إن الموضوع محرم دينيًّا وكمان عارف عقوبته.

صحيح مش عايز أكون "الملاك" اللي محرم علىٰ نفسه كل حاجة واللي كأنه ما بيغلطش؛ لأن دا عكس طبيعتي كبني آدم، لكن برضه مش

عايز أكون الشيطان اللي بيتجرأ علىٰ كل الذنوب والمعاصي؛ لأني برضه عارف ربنا وباخاف منه، لكن دايمًا بيبقىٰ شيطاني أقوىٰ مني، مش عارف أكون في النُص، إما في اليمين قوي مع أصحابي، أو في الشمال قوي مع نفسي، علىٰ النت وعالم الفضاء حسيت إن الموضوع اتعدىٰ رغبتي في الشعور بالرومانسية والحب إلىٰ إدمان كل حاجة فيها متعة جنسية، وألاقي فيها شهوتي زي الأفلام الجنسية والعادة السرية وكل حاجة، أما موضوع "GAY" بصراحة أول مرة أعرفه من صفحتكم ويمكن أكون جيت عشان أعرفه أكتر واتعرف عليكم بس".

هكذا كانت نهاية حديثي الذي كان من القلب. والذي علق عليه "رامي":

- اتشرفنا بيك قوي يا طارق، بس لو مش ليك ميول "GAY" والموضوع مجرد شهوة جواك بس أنصحك أنك ما تعلقش بيك حد "GAY" وما تمارسش مع حد عشان أنت أكيد هتحب بنت وهتتجوز في يوم من الأيام وهتسيبه، أو حتىٰ من غير ما تتجوز ممكن بعد ما تمارس الموضوع ما يعملكش متعة فتسيبه وتكون جرحت حد اتعلق بيك، وزي ما سمعت "GAY" حاجة أكبر من مجرد شهوة جنسية بتتفرغ وخلاص.

انتهىٰ كلام "رامي" والذي توقعته كرد علىٰ كلامي وقلت في نفسي كيف سيكون رده لو كنت أفصحت عن كل ما بداخلي وما أعتقده عن ممارساتهم وأني أسميها "لواطًا "وأصفهم في نفسي "بالشواذ".

هكذا كان حديث نفسي الذي ما زال متسقًا مع أفكاري وتديني المدفون تحت أنقاض الشهوة وهوىٰ نفسي الذي أتمنىٰ أن يخرج في وقت ما ويمسك بزمام نفسي ويوجهني بعيدًا عن التدين الشكلي الخارجي الذي لا يرتكز علىٰ إيمان وعقيدة راسخة، الذي هو فقط بين الناس ظاهر قوي، وأضعف ما يكون وأنا في خلوتي فينهزم أمام رغباتي ونزواتي.

انتهىٰ الموعد، وتصافح الجميع بوعد علىٰ أن يعاودوا اللقاء مرة أخرىٰ فتكونت ثنائيات، من انضم إلىٰ آخر لقرب سكنه منه فيعودا سويًّا، ومن انضم إلىٰ آخر قد أعجبه حديثه فأراد أن يوثق الصلة به، وأنا كالعادة واقف لا أُبادر إلىٰ أحد، أنتظر من يأتي إليَّ ليصافحني ومن لم يأتِ لم أجتهد في الذهاب إليه، إلىٰ أن جاءني من خلفي "وليد" يضع ذراعه علىٰ كتفي ويأبطني بود قائلًا:

- إيه مش مروح؟

التفت إليه قائلًا:

- "يلا بينا".

خرجت معه وعندما همت بمصافحته كي أُغادر أخبرني أن معه سيارة وسيقوم بتوصيلي حتىٰ "المنشية" وكنا في تمام الساعة العاشرة، ذهبت معه إلىٰ مكان وقوف سيارته وكانت فارهة جدًّا كحال ملابسه الأنيقة ووسامة وجهه، ركبت معه وفيها دار بيننا هذا الحوار:

- علىٰ فكرة "ياطارق" أنا أعجبت بشخصيتك جدًّا رغم قلة كلامك وحاسس إنك حد محترم قوي، عشان كدا قلت لازم أوصلك ونتعرف أكتر ونتكلم شوية.

- كلك زوق والله يا "وليد" ويشرفني والله أتعرف بيك.

- أنا فهمت من كلامك إنك مش "**GAY**" بس ممكن يكون بينْنَا صداقة عادية علىٰ الأقل إنك هتكون فاهم لما أحب أحكي معاك في أي موضوع يخصني ومش هاتكسف منك وحاسس إني مرتاح لك قوي.

- يا عم تحت أمرك في أي وقت كأصحاب عاديين زي أي حد وتشرفني والله وعلىٰ فكرة وأنا كمان مرتاح لك قوي.

- تمام طيب بقىٰ ممكن رقم موبايلك نظبط مع بعض ميعاد ونتكلم بقىٰ مع بعض وأعزمك عزومة حلوة، ماشي ولا عندك مانع؟

- لا تمام ماشي مافيش أي مانع، بالعكس والله دي حاجة كويسة، أهو الواحد يخرج من جو البيت، وانت كمان حد باين عليك الاحترام وحد جدع، اديني رقمك انت كمان.

هكذا كان حوارنا في السيارة، تبادلنا أرقام الهواتف مع وعد بلقاء ثانٍ يجمع بيننا في بدايات الأسبوع المقبل، أوصلني إلىٰ "المنشية" وأخبرني بأنه سيتحدث معي هاتفيًّا في الغد للاطمئنان ونحدد سويًّا موعدًا للقاء.

تركته وأصبحت وحيدًا أواصل طريق العودة إلىٰ البيت، أخذت أفكر في هذا اليوم وكل تفاصيل اللقاء، كانت كلماتهم تُعاد في أذني وأتذكر كل شخص فيهم، بل أصبحت مهمومًا بحالهم متعاطفًا بعض الشيء معهم، وشعرت أنهم في حاجة لمن يحتويهم كما نحتوي أي مصاب

أو مريض، لا أن ننبذهم باعتبارهم مذنبين عصاة، وبعد هذا اللقاء أيضًا ضعفت لدي الرغبة في الانضمام لهذا العالم، وشعرت أن هذا العالم ليس عالمي، وأنني كنت أبحث عن متعة أو ممارسة لكن ضالتي ليست من هذا النوع.

ربما شعرت بهذا عندما سمعت كلامهم فأردت ألا أكون دخيلًا يأخذ منهم رغبته ويرحل، وربما لأن الحديث كان كله نفسيًّا، فغلب عليَّ التعاطف معهم لا استغلالهم، ولم أشته أيًّا منهم ولم أشعر تجاه أي فرد منهم بأي ميل جنسي.

ويبقىٰ السبب الأكبر هو أنني طبيعي ولا يعوزني ما يعوزهم، وعندما جالستهم شعرت بطبيعتي أكثر، بل وأسعدني هذا لأنه ومع تعاطفي مع حالهم بعض الشيء إلا أن نفسي طوال الوقت تُسمي الأشياء بأسمائها وتراه "شذوذًا " يخالف الفطرة، كل هذه الأشياء ولَّدت بداخلي تراجعًا عن فكرة إمكانية الممارسة مع سالب، التي كانت تطرأ عليَّ في وقت سابق، لكنني شعرت أنه لا بد أن يكون لي دور تجاههم دون تحديد هذا الدور.

رأيت في شخصية "وليد" مميزات كصديق بعيدًا عن "**GAY**" كما قال وكما فضلت، بعد اللقاء معهم رأيته شابًّا يبدو عليه الرقي، مهندس، شعرت أنني سأستفيد منه كصديق خاصة وأنه أيضًا شعوره طبيعي تجاهي، وهذا ما أسعدني؛ لأنه إن لم يكن كذلك ما تقربت منه وذلك لطبيعة شخصيتي لا أحب التطفل ولا أن أفرض نفسي علىٰ أحد، مع العلم أني أعجبت بشخصيته من بداية حديثه عن نفسه، ما عدا ميوله الجنسية التي كانت بالنسبة لي غير مستساغة ولا مقبولة كباقي توجهات هذا النوع من الميول.

لذلك عندما أراد أن يوثق علاقته بي كنت مرحبًا؛ لأنه وافق رغبة عندي أيضًا، هكذا كان حالي وتقييمي لهذا اليوم الشاق نفسيًّا أكثر منه بدنيًّا من التفكير والتردد والخجل والتوتر، وإن كنت أيضًا منهكًا بدنيًّا من سهري الطويل ليلة الخميس ونومي الذي يصاحبه الأرق، فما كان مني عند عودتي إلىٰ البيت إلا أن ألقيت نفسي علىٰ فراشي حتىٰ يستريح هذا الجسد المنهك والعقل المشتت، وأذكر أنني نمت نومًا طويلًا هادئًا لم أنمه منذ وقت.

هاتفني "وليد" يوم الجمعة وكنت منتظرًا لاتصاله، كان حديثًا بسيطًا بكلام معتاد عندما تكون العلاقة بين اثنين في بدايتها:

- "إزيك؟ عامل إيه؟"

لم يكن هناك الكثير بيننا حتىٰ نتحدث فيه، فعندما وجدنا الأمر كذلك أسرعنا بالاتفاق علىٰ موعد للقاء والتعرف أكثر، فكان الاتفاق علىٰ يوم "الأحد" في تمام الساعة السابعة عند مكتبة الإسكندرية.

لم يكن لهذا الموعد نفس الترقب والتوتر والتفكير كما كان في الموعد السابق، ففي هذا الموعد أذهب لشخص أعرفه وإن كان منذ وقت قريب، والأمر الآخر أن الأمر يأخد شكل صداقة عادية، مع العلم أنه لم يغب عن نفسي ولو للحظات طبيعة "وليد" وميوله الجنسية.

كان هناك اتصال سريع آخر مساء يوم السبت لتأكيد الموعد والاطمئنان، وكان بالنسبة لي دليل قوي علىٰ اهتمام "وليد" بصداقتي والموعد.

جاء يوم الأحد تهيأت وتحركت نحو مكان اللقاء، وكنت قد تأخرت لدقائق عن الموعد المحدد، فوجدت "وليد" وقد وصل ينتظرني.

تصافحنا وجلسنا سويًّا أمام المكتبة علىٰ "الكورنيش" أفصح كل منا للآخر وانساب الحديث بيننا، عن أسرته وأسرتي والدراسة والعمل والأمنيات.

مما جعلنا نقترب أكثر فأكثر من بعضنا البعض، إلىٰ أن ذهب بنا الحديث إلىٰ الميول الجنسية ورغبة كل منا، فعندما شعرت وأني قريب منه دفعني فضولي لسؤاله عن بعض الأسئلة التي ما زالت تجول بصدري.

- أنت مارست قبل كدا الجنس؟ كم مرة؟ وازاي كانت الممارسة؟

وتابعت.. "طبعًا دا لو تحب تجاوب".

سألته وكنت خائفًا أن لا يحب الإجابة، أو أن يشعر بفضولي وحب استطلاعي، إلا أنه كان مرحبًا وقال مبتسمًا:

"لا عادي إحنا أصحاب دلوقتي".

- أنا مارست يا طارق تلات مرات، ولكل مرة منهم قصة كبيرة، اتنين كانوا أصحابي وهما دلوقتي اتجوزوا وعلاقتي بيهم شبه اتقطعت، وواحد بس اتعرفت عليه وأنا باصيف في مارينا ودا الوحيد اللي كان **"Hard"**.

- إيه...؟ يعني إيه هارد يا "وليد"؟

- آه أنت أبيض بقىٰ في الموضوع دا، بص يا طارق أنا حد مش سالب ولا موجب، أنا بحب يكون ليَّ صاحب من الرجال وأحبه وأكون بحريتي معاه، يعني أكون في حضنه ويكون في حضني، يلمسني وألمسه وكدا، ودي بنسميها في ال "**GAY**" سوفت، يعني من الخارج، عكسها بقي الممارسة الـ "**Hard**" اللي بتكون كاملة، ودي بتكون حسب رغبة الطرفين وحبهم لبعض، وأنا كنت مع أول اتنين اصحابي "سوفت" لأنهم كانوا حابين كدا، لأنهم ماكنوش"**GAY**" وكانوا مش حابين الـ "**Hard**"وانا برضه بصراحة كنت حابب كدا.

أما اللي اتعرفت عليه في مارينا كان ولد "**GAY**" وكنت أصلًا متعرف عليه نت، وكان هو بيصيف في مارينا وأنا هناك، ودا أول واحد تبادلت معاه الممارسة "**Hard**".

- طيب والجواز، هتتجوز ولا مش حابب؟

- بص يا طارق أنا ممكن جنسيًّا أتجوز علىٰ فكرة لأني مش سالب، بس هيكون جواز عشان أكون اتجوزت مثلًا وخلفت أولاد، لكن متعتي

إني أكون في حضن راجل أو أمارس مع راجل ويمارس معايا، أنا حاولت كتير أسيب الموضوع دا وبافشل، علىٰ فكرة يا طارق أنا رحت عملت عمرة مرتين عشان أبعد عن الجو دا، وبارجع أفكر في الموضوع، أنا باصلي وبأصوم بس أنا خلاص حاسس إن الموضوع دا بقىٰ من طبيعتي!

- طيب مش بتحس بذنب بعد الممارسة؟

- بصراحة أول مرة اللي كانت مع صديقي "حسام" كنت حاسس بكدا قوي، وكنت حزين، بس بعد كدا الإحساس دا عندي قل لأني مش باتعدىٰ علىٰ حد، وربنا خلقني كدا، وهو اللي عارف بميولي، وحاولت أكتر من مرة أبعد ومش عارف، فبقىٰ الموضوع خلاص اتطبع فيَّ، وخلي بالك برضه يا طارق ساعات الموضوع بيبقىٰ أكبر من ممارسة و"**Hard**" ساعات بابقىٰ محتاج حضن واحد أحبه ويكون صديقي، وإني أكون نايم علىٰ صدره ويستوعبني، توجهنا بعد هذا الحديث لمطعم حتىٰ نتناول بعض الطعام بناءً علىٰ رغبة "وليد" الذي قال:

- **"لازم ناكل عيش وملح مع بعض".**

بعد المطعم توجهنا للسيارة للعودة وقد أصر علىٰ أن يوصلني إلىٰ بيتي، وفي هذه الأثناء في السيارة كانت طريقته ولغته قد تغيرت معي، فكان يتحدث بود كبير ويضع يده علىٰ يدي وهو يطلب مني ألا نفترق.

- بجد يا طارق أنا ارتحت لك قوي، يا ريت ما نفترقش أبدًا ونفضل أصحاب وحبايب"

وقد أوقف السيارة قبل أن أصل إلىٰ بيتي حتىٰ يقول لي هذا، عندها شعرت بأمر غريب وكأن كلامه حرك بداخلي شيئًا ما، من طريقته الرومانسية الهادئة، لكن سرعان ما عدت وصارحته: وليد وأنا برضه ارتحت لك وأنت حد كويس بس لازم تفتكر إني حد طبيعي ومش "**GAY**" وخايف تتعلق بيَّ علىٰ الأساس دا، وكمان أنا حد ميولي ورغبتي في اتجاه واحد بس، راجل حاسس بكل رجولتي والله، مش باقول لك دا عشان حاجة، بس أنا حسيت إنك اتعلقت بيَّ في حاجة معينة.

نظر إليَّ ببسمة بسيطة: وأنا مش عايز أخسرك كصاحب بعيد عن أي حاجة.

انتهىٰ لقاؤنا وعدت إلىٰ البيت لكن ما زال كلامه وبالأخص الأخير وتعبيراته تدور في ذهني، ربما لأنها لمست بداخلي شيئًا من الشهوة من

طريقته ونبرة صوته، فأخذت الأفكار تراودني والتبرير بأن من الممكن أن أجاريه ببعض المداعبات والتي كما يسمونها "سوفت" وهذا لن يؤثر علىٰ طبيعتي كرجل، وفي نفس الوقت لن تكون ممارسة شاذة كاملة.

بدأت بداخلي الرغبة والشهوة بالتزين والتبرير والبحث عن شيء من المتعة تحت أي اسم بعيدًا عن "الشذوذ" مداعبة كانت، "سوفت" كانت، مشاعر صداقة، أي اسم وطريقة تتقبلها النفس ويقل بها الإحساس بالذنب وألم المعصية وإن كان خداعًا.

ظل هذا تفكيري طوال هذه الليلة بعد عودتي من المقابلة حتىٰ بدأت نفسي تتقبل شيئًا فشيئًا، وأصبحت شِبه مستعد، منتظرًا منه أي مبادرة أخرىٰ أو تلميح.

وكان في اليوم التالي لهذه المقابلة التلميح الذي كنت أنتظره، فقد تحدثنا عن طريق المراسلة في"**Facebook**" بعد أن عرفت اسمه الوهمي وعرف اسمي الوهمي في هذا العالم الافتراضي، وقد كان معظم حديثه لي أنه يفكر فيَّ من بعد أن تركني، وصورتي في باله وخياله، هذا الكلام الذي رددت عليه بمثله وكنت محقًّا، فأنا أيضًا كنت أفكر فيه، بل أنتظر

موعدًا آخر للمقابلة، وهذا ما أسعده جدًّا، فطالما انتظر أن أتودد إليه في كلامي وكنت دائمًا سلبيًّا متحفظًا، هذا الأمر الذي جعله يحدد موعدًا آخر للقاء في نفس المكان واليوم والموعد من الأسبوع المقبل.

مرت الأيام عليَّ وأنا أنتظر هذا الموعد، وفي كل يوم أتقبل أكثر للفكرة وأكون أكثر استعدادًا لها، وبالأخص أننا كنا نتحدث في هذه الأيام "قبل المقابلة" هاتفيًّا أو بالرسائل بود وحب، وفي كل يوم يمر تزيد الجرأة ويقل بعض الحياء.

سريع هذا التغير الذي يأتي تحت تخدير النزوة دون إعمال العقل أو الضمير، حين نترك العنان فقط للرغبات أن تتحدث ونكتم في دواخلنا أصوات الفطرة السوية والروح السامية والإحساس بمرارة الذنب حتىٰ نتمتع بلذة المعصية، عندها نشبه إلىٰ حد كبير البهائم التي تحركها فقط الشهوة، ونتنازل طوعًا عن أعظم ما كرم الله به الإنسان عن سائر المخلوقات، أنه إنسان يعقل ويشعر ويحكمه دين وخلق، نعم هكذا كنت في تلك اللحظات وفي كل لحظة أغلب فيها رغبتي علىٰ فطرتي.

***

جاء يوم "الأحد" موعد المقابلة، هذا اليوم الذي سيترك فيها بعد ذاكرة، بل أثرًا قد لا تستطيع الأيام التي تليه محوه أو تجاوزه بسهولة. وصلت للمكان في الموعد المحدد وكالسابق وجدت وليد وقد وصل قبلي، استقبلني استقبالًا حارًّا، ضمني لحضنه بحرارة وشوق استقبال يعكس شوقه الذي كان يحدثني به قبل الموعد في الرسائل أو الهاتف، جلسنا سويًّا في نفس المكان الذي جلسنا فيه في المقابلة الأولى، لكن الظروف قد تغيرت والاستعداد النفسي أيضًا وبالأخص مني، وضع يده علىٰ كتفي وضمني إليه ونحن جلوس، وعندها صرح لي أنه أحبني ويود أن لو نكون وحدنا وأن نتعامل بكل حرية مع شعورنا، الأمر الذي لقي استحسانًا مني وتجاوبًا وأثار شهوة بداخلي، فكان يتعامل بلطف ورقة وكأنه يجيد هذا النوع من التعامل، فما كان مني إلا أن تلمَّست يده بيدي وتمايلت عليه ومن فرط الإثارة كدت أن أُقبله لكن المكان لا يسمح ولا الظروف فقلت له:

- وأنا كمان نفسي قوي نكون لوحدنا.

لكنني وفي ظل هذا الهياج الشهواني الذي كان تجاوبًا مع إثارته لي وتلميحاته لم أنس أن أذكره بطبيعتي الذكورية التي لا أقبل غيرها وكانت مني صريحة.

كما ذكرته بعدم قبولي للممارسة شاذة كاملة، وأن حدي يقف عند هذه المداعبات الخارجية التي تحمل حبًّا ورومانسية بين صديقين كما يسمونها هم "سوفت" هكذا كان تلبيس الشيطان وخطواته وتهوين الأمر وتيسيره علىٰ النفس، هذه النفس التي كانت بطبيعتها مهيئة تبحث عن أي تبرير لإشباع رغباتها، فما كان منه إلا أنه أبدىٰ موافقته وقال:

- أنا عارف طبعًا يا حبيبي إنك مش "**GAY**" وأنا كمان حبيتك كصديق، بس نفسي نكون في حضن بعض بكل حرية.

لا أدري هل كان كلامه حقيقيًّا، أم استدراجًا لشاب أعجبه علم أنه من الممكن أن يسقط عند أول إثارة جنسية لاحتياجه الشديد لذلك؟

لم أكن أستطيع أن أفهم أو أقرأ ما في داخله وسبب موافقته السريعة في هذا الوقت، وحتىٰ إن كان ظاهرًا، فقد كنت تحت تأثير تلك الرغبة والشهوة.

مر بعض الوقت ونحن علىٰ هذه الحالة، حديث فيه شوق وإثارة حتىٰ عرض عليَّ أن نذهب إلىٰ بيته "أي بيت أسرته" فهو خالٍ حاليًّا، أمه عند الطبيب وقد نزلت تقريبًا في هذا الوقت؛ لأنه كان يعلم بالطبع موعدها مع الطبيب، وأبوه متوفى، وأمه ستستغرق وقتًا لا يقل بأي حال من الأحوال عن ساعتين لأنها ستمر أولًا علىٰ أختها القريبة منها حتىٰ تذهب معها، هكذا وصف لي حال أسرته وسبب خلو المنزل من الأسرة، الأمر الذي أسعدني مع بعض التحفظات والتردد قليلًا والأسئلة التي تزيدني اطمئنانًا التي طرحتها عليه، لكن في نهاية الأمر وافقت، بل لم يكن بداخلي شيء سوىٰ الموافقة، والتحفظ والأسئلة كانت للاطمئنان فقط.

ذهبت معه إلىٰ منزل أسرته والذي لم يبعد سوىٰ خمس عشرة دقيقة فقط عن مكان مقابلتنا، وكان في مكان راقٍ كطبيعة الأماكن في شرق الإسكندرية والقريبة من "الكورنيش"، وكانت الشقة أيضًا كذلك، فهذا أمر بديهي بالنسبة لمنطقة السكن وأيضًا حال "وليد" الذي يبدو عليه الترف.

جلسنا سويًّا علىٰ أريكة أمام التلفاز في صالة المنزل، وبدون مقدمات طويلة ولا استضافة روتينية ضمني إليه، وبكلمات رقيقة تخرج مع أنفاسه وبعض القبلات التي استثارات بداخلي كل براكين الشهوة والرغبة فما كان إلا أن بادلته هذه القبلات بحرارة وشهوانية ونهم وقد تجمعت في نفسي في هذا الوقت كل الإثارة التي تكونت من مشاهداتي السابقة في الأفلام الإباحية، وقد حان الوقت لإفراغها وكل الظروف مهيئة، وشريك أثارك أكثر وقد تهيأ لك، بل يبدو مستسلمًا قد وجد مراده هو الآخر، عندها لم يكن للعقل وجودٌ، فقط صوت رغباتي ولذة الشهوة التي سيطرت علىٰ زمام نفسي، فنزعت مني الخجل في القول والفعل، أستطيع أن أقول أني أصبحت في هذا الوقت شخصًا آخر يتحرك تحت تأثير وتخدير متعته فقط.

توالت الخطوات والممارسات التي لن تفيد كثيرًا لو تحدثت عنها بالتفصيل، فليس من أجل هذا أروي حكايتي.

لم أفق إلا علىٰ حمم تتدفق مني أخذت معها إحساسي بالمتعة، وهبوط حاد في حرارة شهوتي وقد استلقىٰ جسدي علىٰ جسده.

في هذه اللحظة بدأت العودة لنفسي شيئًا فشيئًا، فقد بدأ زوال أثر تخدير الشهوة، حتىٰ زال كله علىٰ مشهد أذهلني وأفجعني هو شكل جسدي العاري فلا شيئ يواري عورتي، فأخذت أجمع ثيابي في تخبط وارتباك وأرتديها وعلىٰ خدي دمعتين هما أصدق ما في هذا المشهد.

انتهيت من ارتداء ملابسي وقد انهمرت عيناي بالبكاء، هنالك تدخل "وليد" يحتضني ويحاول تهدئتي وأنا أدفعه عني، وقد أصبح أبغض ما علىٰ الأرض لنفسي، في هذا الوقت وهو الذي كنت من دقائق قليلة أمطره بالقبلات وأجمل عبارات الحب، فهذا من صوت الفطرة السوية وتأنيب النفس وندمها الذي بدأ في الخروج بعد رحيل سلطان هذه الشهوة الغاشمة.

لم أتحدث إلىٰ "وليد" أي حديث بعدها، بل لم أنظر إليه نظرة واحدة وإن كان هو يحدثني ويحاول أن يفهم ما بي حتىٰ خرجنا من المنزل، وفي المصعد والسيارة وأنا علىٰ هذه الحالة، دموع تتساقط وندم وألم شديد في نفسي، حتىٰ عدنا لهذا المكان الذي تقابلنا فيه ونزلنا من السيارة وجلسنا في نفس المكان ولا نتحدث حتىٰ قال:

– وبعدين يا طارق؟ فيه إيه بس ممكن أعرف؟اليوم كان جميل وأنا اتمتعت قوي وأظن إن أنت كمان اتمتعت.

فنظرت إليه وعيناي تذرفان الدمع:

– أنت أكتر إنسان كرهته في الدنيا دي، أنا مش عايز أشوف وشك بعد النهار دا، أنت استدرجتني لحد ما وقعت في الحرام، أنا مش مسامحك ليوم الدين.

نظر إليَّ متعجبًا:

– اكره نفسك ما تكرهنيش، أنت أصلًا كنت جاي معايا وعارف إنك هتعمل كدا، وكمان جيت وانت حابب، أنت ما شفتش نفسك ولا إيه وأنت معايا؟ أنت كنت محروم قوي، وانا كنت باحاول أخلي العلاقة "سوفت" لأني عارف إن بعدها هتندم، لكن أنت كنت زي المجنون وكنت بتتعامل بشهوانية أكتر مني، ومع ذلك أنا هاصبر عليك لأني عارف وحاسس بندمك، بس عايز أقول لك حاجة أنا ممكن أكون معذور لأني "**GAY**" لكن أنت حد شهواني عشان كدا ندمت قوي لما الشهوة والمتعة خلصت حسيت بالذنب.

- لأ أنا مش شهواني، وانت اللي استدرجتني، منك لله يا أخي، يا ريتني ما شُفتك ولا عرفتك.

فرد ببرود واستهانة بكل ما أشعر به من ألم:

- لأ أنت شهواني، وإلا كنت قلت كدا من الأول، أنت بتقول كدا دلوقتي عشان شهوتك فرغتها خلاص.

هكذا كان حديثنا والذي علا فيه صوتنا في نهايته فطالبت منه أن يتركني وحدي، فرفض في بداية الأمر حتىٰ يوصلني بسيارته إلىٰ "المنشية" كالمرة السابقة، لكني رفضت رفضًا قاطعًا وقد صرخت فيه بصوتي:

- "سيبني، أنا كرهتك وكرهت اليوم اللي شُفتك فيه".

فكان رده بكل هدوء:

- "ماشي براحتك، وهابقىٰ أتصل بيك أطمن عليك لأني جدع وما عرفتكش عشان مجرد ننام مع بعض زيك، عشان كدا كرهتني بعد ما خلصت حاجتك مني".

ذهب وتركني كما كنت أرغب، أصبحت وحيدًا في هذا المكان المشؤوم الذي ابتدت فيه أول خطوة من هذا الفعل السافل.

مع برودة الجو وأنا أمام البحر وهذه الأمواج السوداء في هذه الليلة المقيتة، رأسي مطأطأ إلىٰ أسفل وكأني أستحي من ربي، في نفسي وجع وقلبي يعتصر وجسدي ينتفض كالعصفور، ووجهي غارق في دموعي وصوت الموج يزيدني رهبة من الخالق وكأنه غاضب لغضب الله عليَّ ونفسي تحدثني: تجرأت يا "طارق" علىٰ الله في أكبر كبيرة ولم تستح! فعلت فعل قوم لوط!!

وقد استدعت ذاكرتي هذه الآيات التي أحفظها عن ظهر قلب لكن غشاوة المعاصي حجبتها عني ولم أتذكرها إلا بعد فعلتي، فالضمير موجود وواعٍ دومًا.. لكنه رحال يفضل الغفوة وقتها نكون سجناء شهواتنا، ولذا أخذت نفسي تجلدني أكثر فأكثر وتحدثني: قطعت صلتك بالله يا "طارق" من أجل دقائق في اللذة! وبكائي يزداد بأنين من وجع المعصية، عاد قلبي للنبض بخوف الله وعادت الدموع تنهمر من خشية الله، وعاد تذكري لآيات الله ومحارمه، بل عادت نفسي اللوامة التي غابت عني طويلًا لكنهم عادوا متأخرًا، عادوا بعد زلتي وسقطتي العظيمة، لكن أنا السبب في هذا، فأنا من تركت حظوظ النفس ورغباتها

تحل محلهم، وأنا من أضعفتهم بداخلي فلم يستطيعوا نصحي وقت خطئي.

انهرت نفسيًّا ومعنويًّا في هذه الليلة، وسهرت طويلًا في هذا المكان بين دموعي ووجعي الداخلي، وحدي وقد اسودت كل الدنيا في وجهي وغُلقت كل الأبواب في نظري، حتىٰ باب الله بالتوبة ظننت أنه أغلق دوني، فقد نسيت كل آيات التوبة والمغفرة والقبول ولا أستدعي وأتذكر سوىٰ آيات وأحاديث "اللواط" حتىٰ كدت أن أموت حسرة وألمًا فماذا سيكسب من خسر الله؟

ظللت كذلك حتىٰ الساعة الثانية عشرة، عندها قررت العودة إلىٰ البيت، أصبحت مشوشًا، تاه من تحت قدمي الثبات، وأسئلة كثيرة دارت في رأسي تلك الليلة المظلمة، التي اختفت منها النجوم في السماء، واختفىٰ فيها العطر من الورود، ضعت أنا في بحر لجي، موج من فوقه موج من فوقه ظلمات... وها هو القاع يحترق بي هل حزنت علىٰ ذنبي أكثر، أم علىٰ روحي التي فقدت روحي في هذا الوقت... هل فشلت أن أكون ذا ضمير يقظ.. ينبهني حين تسقط أعضائي وذاتي في قاع الرذيلة،

لمَ لم ينتشلني، كما عهدته يفعل دائمًا، وفشلت نفسي اللوامة في مجرد لومي لماذا لم تمنعني كل المثل والأخلاق والتربية التي تربيت عليها من تلك الفجيعة، قبل أن تقطع مني سبل الرجوع، أرجعني حتىٰ لو أذنبت، أين أختبئ منك وأنت أقرب لي مني، وأين أذهب والجميع يدور تحت فلكك وسمائك وأنا أجر نفسًّا منكسرة ورأسًا منكسًا علىٰ الأرض، قد اشتقت إلىٰ أمي، نعم إحساس لم أشعر به منذ زمن أن أشتاق إلىٰ حضن أمي، أحتاج أن أهرب إليه وأختبئ فيه من ذنب تطاردني لعنته، فلا أحد يحبني بصدق ويخاف عليَّ سوىٰ أمي التي شغلني كثيرًا عن الجلوس معها هذا العالم الافتراضي، كنت سأظل محافظًا علىٰ بشريتي لو تجاوزت كل البشر وظللت وحيدًا ولكن فقط معها، هكذا كان اشتياقي لأمي وهكذا كانت حالتي وأنا في طريق العودة إلىٰ بيتي.

عدت إلىٰ بيتي وبداخلي حزن شديد، أتوارىٰ خوفًا من أن يراني أحد أصدقائي أو أقاربي في شارعي فيسألني ما بك فلا أستطيع الرد.

دخلت بيتي وفتحت بمفتاحي وقد نامت أمي، مررت عليها وهي في سريرها فدمعت عيناي، أحتاجها ولكن ماذا سأقول لها؟ فخرجت

من حجرتها علىٰ حجرتي مسرعًا إلىٰ سريري وفراشي أبكي وأتألم وحدي، فأصعب شيء أن تتألم ويصعب عليك البوح، فعندها تكون قد اخترت طوعًا أن تتألم دون أن يخفف عنك أحد فالمصيبة أصعب من أن تُحكى، وفي فضحها ألم يعادل ألم ذنبها، ظللت كذلك حتىٰ أذان الفجر وصوت المؤذن الحزين الذي أرجفني وأتعبني، لكني لا أستطيع التلبية، لم يكن العذر فقط بسبب النجاسة المادية التي كنت اغتسلت منها، ولكن صاحبها نجاسة معنوية من هذه الكبيرة التي ارتكبتها، فكيف أقف بها بين يدي المولىٰ حتىٰ وإن اغتسلت.

غلبني النوم متأخرًا بعد صلاة الفجر وأنا مثقل بالهموم والمواجع، حتىٰ استيقظت بها في حوالي الساعة الثانية ظهرًا، وما زال يطاردني إحساس الذنب، بل الكبيرة العظيمة، فأنا طالما أذنبت لكن هذه المرة ارتكبت كبيرة عظيمة.

أخذت أقلب في كتبي الشرعية القديمة التي كنت مواظبًا من قبل علىٰ قراءتها، وكنت أبحث في الأبواب التي تتحدث عن "اللواط"،

كنت أهرب من الصفحات التي تتكلم عن عذابها وعقابها، فهذا أعلمه، لكني كنت أبحث عن التوبة.

هل يقبل لفاعلها توبة؟

لم أجد هذا صريحًا في الأبواب التي تتحدث عن هذا الفعل، لكني وجدت في الأبواب التي تتحدث عن التوبة عمومًا أن الله يقبل كل من تاب وكل من رجع، وفتحت لي بابًا من الأمل هذه الآية التي قرأت عنها أنها أرجىٰ آية في كتاب الله وأنها آية الفرحة والبشرىٰ لكل المذنبين، وهي قوله تعالى:

"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا علىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِّ إِنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"

ردت هذه الآية إلىٰ بعض الأمل الغائب، هو أن الله يغفر الذنوب جميعًا، لم يستثنِ ذنبًا ولو كانت هذه الفعلة مستثناة لذكرها الله بل لم يستثنِ الله الكافرين وليس بعد الكفر ذنب، إذن هي دعوة لكل المسرفين علىٰ أنفسهم بالذنوب أن يتوبوا.

اطمأن قلبي قليلًا لهذه الآية العظيمة، وبالفعل شعرت أنها آية البشرىٰ والفرحة ولكن بقي القلق والحزن ساكنًا بداخلي، فهذا تأويلي للآية وظني، لا بد أن أعرف رأي العلماء والتفاسير فيها، لا بد أن أتيقن أن لي توبة وأن هنالك فرصة للرجوع.

عدت مرة أخرىٰ لهذا العالم الافتراضي، لكن هذه المرة بحسرة وندم، أبحث في المواقع الإسلامية والفتاوىٰ عن قول أو رأي يمحو شكي ويطمئن فؤادي ويفتح لي بابًا للعودة إلىٰ حظيرة الالتزام.

وبالفعل وجدت كل تفاسير هذه الآية وآراء العلماء أن الله لم يستثنِ ذنبًا، وهي دعوة للجميع أن الله يقبلهم إن عادوا، وأعجبني قول للإمام "ابن القيم" ساقه أحد العلماء في فتواه عن التوبة وهي:

"رُب طاعة أدخلت صاحبها النار، ورُب معصية أدخلت صاحبها الجنة، فقيل كيف ذلك؟

قال رُب طاعة أورثت صاحبها الكبر والعجب والغرور فأكبه هذا المرض علىٰ وجهه في النار، ورُب معصية أورثت صاحبها الذل والانكسار والانقياد والبكاء والخشية والإنابة والتوبة والتفويض

والرجوع إلىٰ الله، فكانت هذه المعصية سببًا لأوبته وتوبته، وسببًا في دخول الجنة.

فقلت هل من الممكن أن تكون معصيتي وفعلتي هذه سببًا لدخولي الجنة؟ فأنا بالفعل أحترق حزنًا بداخلي، وندمًا وألمًا من المعصية.

أعطتني هذه المقولة شيئًا آخر من الأمل وأن باب الله مفتوح أمامي ولم يغلق، وزادتني أملًا قصة هذا الرجل الذي قتل مائة نفس وتقبل الله توبته وهو لم يركع لله ركعة، بل قبله الله بما علم من نفسه ونيته وعزمه علىٰ التوبة، ولكن في أثناء مروري علىٰ هذه الآراء والآيات والأحاديث المطمئنة التي كان لها أثر كبير علىٰ نفسي، فليس هناك شيء أكبر من فرحة العبد بغفران مولاه له.

مررت أيضًا علىٰ أحد المواقع يتحدث عن عقوبة "اللواط" وقد كنت نسيت هذا أو تناسيته ببحثي الأكثر عن الأمل والتوبة، فأنا أعلم العقوبة وأعلم أنها كبيرة، وهذا سبب ألمي، لكني أبحث عن الأمل قد يكون حديث الترهيب أفضل لي قبل القدوم علىٰ هذا الفعل الخبيث، لكن الآن أحتاج أكثر للتوبة والأمل فقد وقع الأمر، لكني أيضًا قرأت المكتوب

عن عقوبة فاعل هذا الإثم الكبير " اللواط" ومما أوقفني، بل أنساني ما قبله من بشريات مطمئنة عن التوبة هي قول أحد العلماء أن لهذه الفعلة عقوبتين في الدنيا والآخرة، وخزي في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا قد يصيبه الله بهذا المرض الفاضح اللعين "الإيدز" وفي الآخرة عقاب شديد.

ارتجفت بداخلي من هذا القول ولعل الشيخ يقصد من لم يتب عن هذه الفعلة، لكني لم أفكر في قصد الشيخ، فقد كان الخوف ساكنًا بداخلي، أطمئن قليلًا مما قرأت عن التوبة، لكن يظل بداخلي إلىٰ أن قرأت هذه المقولة التي أبحرت بي في بحر من الخوف والشك، وأن هذا الفعل الكبير لن يمر بمجرد توبة، وإن كانت صادقة سأعاقب في الدنيا لا محالة، وأخذ هذا اللفظ المقيت الثقيل يقرع أذني "إيدز"، فلا أعرف عنه شيئًا سوىٰ أنه مرض لعين يخزي صاحبه أكثر مما يمرضه، مرض موصم بالعار وبكل فعل قذر، فليس الخوف من أنه مرض؛ الخوف أن أسبابه كلها تشين وتذل صاحبها، هكذا كنت أعرف عنه.

بدأ الوسواس بداخلي يتملكني ويقول لي حتىٰ وإن تبت إلىٰ الله سيقبلك الله، ولكن لا بد من فاتورة تدفعها في الدنيا وهي الإصابة بهذا

المرض اللعين، اشتد ألمي وحزني وخوفي وانتقل خوفي من عقاب الله في الآخرة إلىٰ عقابه في الدنيا بهذا المرض، وانتقل بحثي عن أسباب هذا المرض وكيف ينتقل، وعيناي تذرفان الدمع، أجاء الوقت الذي أكتب فيه علىٰ مواقع البحث علىٰ الإنترنت "مرض الإيدز"؟! ألهذا القدر أصبحت قذرًا؟ وأصبح بداخلي ألم لا يعلمه إلا الله، وهم شديد كادت أن تنهار معه أعصابي ونفسي، أي شؤم جاء لي من جراء هذه المعصية؟ فقد بدأت أشعر بهذه المعيشة الضنك التي تحدث عنها الله في كتابه الكريم: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَي).

دخلت علىٰ أحد المواقع العالمية المهتمة بهذا المرض، وعرفت أنه تصادف ظهور المرض الغريب بالرجال المثليين، أطلق عليه الأطباء اسم "**GRID**"، انعدام المناعة المكتسبة لدىٰ المثليين، ولكن ظهوره الملحوظ في المهاجرين من هايتي وكذلك النساء المثليات ومتعاطي المخدرات جعل التسمية الرسمية "إيدز" في 1982، فهذه المعلومة الصادمة نزلت علىٰ نفسي كالصاعقة، فأول ما ظهر مرض الإيدز ظهر علىٰ المثليين، دب

الرعب بداخلي والقلق الشديد وأنا أقلب المواقع أتعرف أكثر عن كيفية انتقاله وأقارن الكيفية بحال ممارستي، فعرفت أن له عدة طرق كي ينتقل من فرد لآخر وهي محدودة ومعروفة، وتزيد الخطورة عندما يكون الاتصال الجنسي بين مثليين، وبالأخص مثلي الرجال إن كان أحدهم مصابًا، لأن المرض ينتقل عن طريق سوائل الجسم المصاب، السائل المنوي، الدم، ونادرًا اللعاب؛ لأنه فيروس ضعيف جدًّا ويموت بمجرد تعرضه للهواء، وبيئته الملائمة هي داخل جسم الإنسان، لذلك كانت الممارسة الشاذة هي من أكثر الطرق انتقالًا لهذا المرض، إن كان أحد الشريكين حاملًا للمرض؛ لأن هذه الممارسة تكون في الشرج وهي أضعف أماكن الدورة الدموية، فإن كان المفعول بِه مصابًا فسينتقل من أي تقرح أو حكة فيه نزفت أثناء الممارسة، حتىٰ وإن كان القليل من الدم لعضو الفاعل عن طريق مجرىٰ البول، وإن كان الفاعل مصابًا فسينتقل منه عن طريق السائل المنوي إلىٰ أي تقرح أو جرح عند المفعول به.

هذه هي المعلومات أو خلاصة المعلومات التي قرأتها عن هذا المرض اللعين والتي بعدها ازداد وسواسي وخوفي، فأنا واثق أنني لست مريضًا

من قبل؛ لأنها أول ممارسة لي، ولم أمارس قبلها مع أحد أشك أنه مريض، لكن هل وليد مصابًا، فهو مارس من قبل ثلاثة مرات، من الممكن أن يكون قد انتقل له المرض من إحدىٰ الممارسات، عندها سأكون أيضًا أنا مصاب، لكن ممارساتنا لم يكن بها نزيف، وكان فقط من الخارج، وكان قذفي خارجيًّا، حتىٰ وإن كان كذلك يبقىٰ احتمالٌ آخر، أن ينتقل المرض عن طريق لُعابه من التقبيل، وإن كان انتقال المرض من المصاب إلىٰ السليم بهذه الطريقة نادرًا جدًّا.

هكذا كان وسواسي وحرب نفسي الداخلية، فكلمة لأحد العلماء نقلت تخوفي إلىٰ شيء لم يكن في الحسبان، وأي شيء؟ إنه المرض الذي ليس له شفاء ويخزي صاحبه أكثر مما يؤلمه، ازداد همي وغمي وزادت حيرتي؛ كيف سأتأكد من إصابتي أو عدمها؟ وهل "وليد" مصاب فنقل إليَّ المرض فكان هذا عقاب الله لي في دنيتي؟ أغلقت الحاسوب وهممت إلىٰ النزول إلىٰ أي مكان أهرب فيه من نفسي وحزني.

قد كان أصعب وقت يمر في حياتي هذا الوقت الذي كان بعد هذه الفِعلة، وكأن كل الأشياء المؤلمة تعاهدت فجأة علىٰ أن تقع عليك فتترك

هشًّا من الداخل، جهزت والدتي لي الطعام ولكن أين هذه النفس التي تستطيع أن تأكل وهناك احتمال ولو ضعيف أن أكون مصابًا "بالإيدز"؟! ومن ممارسة شاذة! لم أستطع أن أتناول شيئًا من الطعام وإن كانت معدتي خاوية، الأمر الذي استرعىٰ انتباه والدتي، فأنا الذي آكل بشراهة، لكني تهربت من سؤالها عن حالي وسبب تغير وجهي، وأن شكلي يبدو غير طبيعي، تهربت من سؤالها بأنني أشعر بألم في رأسي وفاقد لبعض التركيز، كنت أتمنىٰ أن لو أستطيع الفضفضة حتىٰ تحتويني أمي وتهدئ من روعي.

أصبحت أجبر نفسي علىٰ النهووض باكرًا لأمارس واقعي، لأرىٰ كل البشر غارقين في الوهم، تركت المنزل بحجة ذهابي لأحد أصدقائي في الشارع، وأنا لا أعلم إلىٰ أين ستكون وجهتي، فقط أريد الهرب من شيء بداخلي، وهذا الحاسب المتسبب في كل آلامي وأحزاني من قبل التعرف علىٰ هذا العالم، وبعد ذلك من خوفي لهذا المرض وما قرأته عنه.

❋ ❋ ❋

وسواس قهري

بعد أن تركه الطبيب يسترسل لعدة جلسات بعدما تعاهدا علىٰ الاسترسال دفعة واحدة وعدم المقاطعة، أوقفه فجأة عن الحديث.

- منذ هذه اللحظات يا طارق قد أصبحت مريضًا.
- مريضًا! بأي مرض؟!
- مريضًا بالوسواس القهري نتيجة التأنيب الذي تحدثنا عنه من قبل، لديك مخاوف غير واقعية تطاردك نتيجة الإحساس بالذنب، تبحث لها عن مخارج. أحيانًا يكون المدخل لذلك الخوف منبعه هو إحساس بالذنب، فيصور الفرد لنفسه بأن ما ارتكبه، لن يمر مرور الكرام، حتىٰ يتحول الأمر من خوفه من ذنبه إلىٰ خوفه من ذلك العقاب الذي تخيل أنه عقابه من ذلك الذنب، بل قد يتلاشىٰ أصلًا خوفه وتذكره لذلك الذنب، وهذه الحالة غالبًا تكون لمن تربىٰ علىٰ شيء من الالتزام والمحافظة، وقد تذهب الأمور لتخيل سيناريوهات معينة بعدما تثبت إصابته كيف سيواجه أهله ومجتمعه وكيف سيخالطهم؟ ويتحول

التخيل إلىٰ واقع فقط ينقصه أن يثبت، فيتحول كما تحول ذلك الصديق رغم سلامته الجسدية إلىٰ مريض، إلىٰ أن تثبت التحاليل العكس، أو حتىٰ يكتشف هو أن العلة أو المرض نفسي وليس عضويًّا، وذلك نوع عصي وكبير من المخاوف التي لن تحدث.

أنت تخوف نفسك بالتخيل، بالإيحاء، تعدم نفسك بفكرك.

انتبه جيدًا لخيالك؛ فأعضاؤك وملكاتك كلها ستستجيب للصورة التي ترسمها بإتقان، الرسائل الدماغية سواء الإيجابية أو السلبية تحدد نهج حياتنا التي نعيشها، فلا تعطِ رسائل لمخك بأنك حتىٰ (في مزاج سيئ) فيبرمج المخ نفسه علىٰ المزاج السيئ دائمًا!

انتهىٰ كلام الطبيب بعدما وصف وشخص حالة طارق، وتعاهد معه مرة أخرىٰ علىٰ عدم المقاطعة وسيكون الرد ومن ثم العلاج بعد جلسات البوح كاملة لتتضح الصورة.

توالت جلسات وجلسات كان طارق يغمض عينيه وهو يتحدث مع الطبيب وكأنه يذهب إلىٰ الوراء لاستعادة بعض الذكريات الموبوءة من زواياها العفنة من روحه وكأنه ذهب ليجلبها معه ويحكيها.

أخذت أجوب الشوارع المحيطة بمنزلي، أمر علىٰ بيوت أصدقائي المقربين لي في منطقتي، الذين صاحبتهم علىٰ الالتزام وفعل الخيرات، مررت علىٰ بيوتهم، أحتاج إليهم ولا أستطيع أن أنادي عليهم كما كنت أفعل من قبل عندما يضيق صدري من الهموم والألم وأحتاج إلىٰ الفضفضة، أصبحت أنا المنطفئ واللا ظاهر وسط كومة رماد، لم يدركني أحد.

بعد مرور وقت من المشي الطويل في الطرقات حاملًا ألمي ووجعي، عدت إلىٰ البيت بعدما حل التعب والإرهاق علىٰ قدمي وكل جسدي، وقرصني الجوع، عدت بنفس الحالة التي خرجت بها من منزلي، بل زاد علىٰ ألمي النفسي ألمي الجسدي، فالتفكير في الغائب المخيف وانتظاره أشد علىٰ النفس من مجيئه (فأحيانًا مجيء ما نخشاه يكون أخف من قلق انتظاره)، تناولت بعض اللقيمات بعد عودتي إلىٰ البيت، والتي تقيم فقط الصلب لا طعام بتلذذ وتذوق.

عدت مرة أخرىٰ إلىٰ حاسوبي بعد تناولي بعض الطعام لعلي أجد إجابة علىٰ تساؤلات وتخوفات نفسي، أو أي شيء يدلني هل أصبت أم

لا؟ وكأن الأمر انتقل من خوفي الشديد من عقاب ربي في الآخرة علىٰ ارتكابي لهذه الفاحشة العظيمة، إلىٰ الخوف من هذا العقاب الدنيوي المخزي الفاضح بهذا المرض اللعين الذي يُعجل الله به في الدنيا قبل الآخرة كما قرأت في ذلك الموقع من رأي هذا الشيخ عن عقوبة "اللواط".

انتقل بحثي هذه المرة بين المواقع عن كيفية اكتشاف الإصابة بمرض الإيدز وكيفية تشخيصه، بعدما عرفت كيفية انتقاله وأنني من الفئات الأكثر عُرضة للإصابة بهذا الفيروس نتيجة هذه الممارسة البغيضة التي قمت بها.

ومن بحثي بين المواقع الطبية المتخصصة والمشهورة قرأت هذا البيان عن كيفية اكتشاف هذا المرض وتشخيصه وكان نصه:

"لا توجد سوىٰ وسيلة واحدة لتشخيص الفيروس المسبب للإيدز، وهذه الوسيلة هي تحليل الدم، حيث من الممكن أن يصاب الإنسان بهذا الفيروس ولا تظهر عليه أية أعراض، حتىٰ بعد مرور سنوات علىٰ دخول الفيروس إلىٰ جسم الإنسان، وإن كان عند بعض الناس تظهر

عليهم بعض الأعراض الأولية والتي تتشابه مع كثير من أعراض الأمراض الفيروسية الأخرى، لذلك لا يعتد بالأعراض وحدها في إثبات أو نفي هذا المرض، وإنما عن طريق التحاليل وبعض هذه الأعراض الأولية هي: حمى، سخونة، آلام بالعضلات والمفاصل، انتفاخ العقد الليمفاوية خاصة بالرقبة وتحت الإبطين، ألم بالعضلات الضامة والرقبة والكتفين، ألم بالظهر، اعتلال بالصحة، مع احتمالية ظهور الأعراض من اليوم الثاني من العلاقة إلىٰ مدة غير معروفة حسب الشخص.

وتكمن أهمية هذه الأعراض في أنها إذا جاءت للأشخاص الذين ينطوي علىٰ سلوكهم مخاطر الإصابة بالمرض أن يقوموا بإجراء التحليل فورًا، ولا تعتبر وحدها دليل إثبات أو نفي للمرض، فمن الممكن أن يحمل الإنسان الفيروس المسبب لمرض الإيدز وهو فيروس "**HIV**" وهذا الرمز اختصار لمصطلح الإنجليزية "**human immunodeficiency virus**" وهو يعني فيروس (العوز المناعي البشري أو فيروس نقص المناعة المكتسبة) ولا تظهر عليه أي

أعراض أولية أو متأخرة من هذا الفيروس وهي مرحلة "الإيدز" حيث إن الإيدز هو المرحلة الأخيرة أو التطور الأخير لهذا الفيروس في جسم الإنسان، وبعض الناس يحمل المرض ويعيش به طوال حياته دون اكتشافه، بل دون أن يصل إلىٰ مرحلة التدهور الكبرىٰ وهي "الإيدز" ومن هنا نستطيع أن نقول أن كل مصاب بالإيدز قد حمل من قبل الفيروس المسبب له، وليس بالضرورة كل من حمل الفيروس قد أصبح بعد مصابًا بالإيدز فعليًّا، وإن كان تطور الفيروس الطبيعي في مرحلة متأخرة هو الإيدز وهناك أكثر من تحليل يمكن بواسطته تشخيص الإصابة بهذا المرض وهي تحاليل **"HIV"**، أولًا تحليل الأجسام المضادة العادي والسريع **"HIV II AB"** وهذا التحليل يبحث عن الأجسام المضادة التي يفرزها جهاز المناعة بالإنسان عند دخول فيرس **"HIV"** حيث أنه لا يمكن اكتشاف الفيروس نفسه إلا بتحليل آخر، لكن تحليل الأجسام المضادة هو المعتمد والأكثر استخدامًا في تشخيص هذا الفيروس، وهو أيضًا الموصىٰ به من قبل منظمة الصحة العالمية، لكن لا بد أن ينتظر الشخص المتعرض للخطر حوالي اثني عشر أسبوعًا أو

ثلاثة أشهر بعد تعرضه للخطر، حتىٰ يقوم بهذا التحليل، حيث إن هذه الفترة هي المناسبة كي ينتج جهاز المناعة أجسامًا مضادة للفيروس يمكن اكتشافها بواسطة هذا الجهاز.

وأي تحليل قبل هذه المدة من هذا النوع لا يعتد به، حيث إنه في فترة الشك، فمن الممكن أن تكون السلبية كاذبة؛ لأنه لا توجد أجسام مضادة كافية بحيث يقرأها التحليل، لذلك من الأفضل حسب توجيهات منظمة الصحة العالمية الانتظار اثني عشر أسبوعًا بعد المخاطرة قبل إجراء هذا التحليل، حتىٰ يمكن الحصول علىٰ نتيجة موثقة بنسبة 99٪، وتوصي أيضًا بإعادة التحليل مرة أخرىٰ بعد ثلاثة أشهر أخرىٰ لخطورة المرض، وتلاشي أي أخطاء في إجراء التحليل في المرة الأولى.

ثانيًا تحليل "**HIV P24**" ويبحث عن الأنتيجين الذي ينتجه الفيروس، وهو تحليل يحتاج تقريبًا نصف المدة السابقة ليكون قطعيًّا، حيث إنه يبحث أيضًا عن الأجسام المضادة بأكثر حساسية من التحليل الأول و"الأنتيجين" الذي يفرزه الفيروس عند دخوله الجسم وهو

يظهر قبل ظهور الأجسام المضادة لذلك خفض هذا التحليل مدة الانتظار إلىٰ ستة أسابيع بدلًا من اثني عشر أسبوعًا، أي شهر ونصف قبل الأول والذي كان بعد "ثلاثة أشهر".

ثالثًا تحليل "**HIV PCR**" وهو التحليل الذي يبحث عن الفيروس نفسه، بل وعدده في الجسم، وهو جهاز دقيق جدًّا ويمكنه التشخيص بعد مرور أسبوع من التعرض للخطر، إلا أنه لا يستخدم كثيرًا في تشخيص هذا الفيروس لتكلفته العالية مقارنة بغيره من التحاليل الأخرى، وأيضًا غير موجود إلا في المختبرات الكبيرة".

هكذا كان نص البيان المنشور علىٰ أحد المواقع الطبية المعروفة عن اكتشاف وتشخيص المرض، والذي كانت تتقدمه بنبذة عن قصة نشأة هذا الفيروس الخبيث.

لم تكن تعنيني قصص نشأته رغم غرابتها؛ فالأمر عندي ليس للبحث في حد ذاته؛ بل هو من أجل هاجس وخوف يراوداني، من دونهما لم أكن لأبحث عن هذا المرض، لذلك ما أهمني وكان في بؤرة تركيزي هو موضوع بحثي عن كيفية اكتشافه وتشخيصه.

بعد قراءتي أخذت أفكر في كيفية إجراء هذه التحاليل حتىٰ أقوم بها وأقطع الشك باليقين، ولكن هناك مشكلة، كيف سأنتظر ثلاثة أشهر وأنا علىٰ هذه الحالة ويكاد الخوف يقتلني؟ وحتىٰ التحليل الآخر يحتاج شهرًا ونصف، مدة ليست بالقصيرة، والتحليل الثالث يقولون عنه أنه باهظ الثمن وغير موجود إلا في المختبرات الكبيرة، لكن وقته قليل ومن الممكن أن أتحمل انتظاره.

ازداد تعبي وهمي من بحثي في موضوعات طبية ماكنت أظن يومًا أن تكون موضع بحثي أو اهتمامي، وأنا علىٰ هذا الحال من القلق والتفكير في هذه التحاليل، أين توجد مثل هذه التحاليل؟ بل كيف أستطيع أن اذهب إلىٰ المختبرات سائلًا عن مثل هذه التحاليل وهي بالطبع معروفة عندهم بتحاليل الإيدز، كيف؟ وهل متوفرة لكل من أراد أن يحللها دون سؤال من المختبر عن السبب؟ أسئلة دارت في نفسي لم أستطع الإجابة عليها، وأثارت بداخلي مزيدًا من الحيرة والألم والاضطراب النفسي.

وأنا علىٰ هذه الحالة من التوتر والقلق جاء في خاطري حل وهو المنطقي أن أبدأ فيه قبل أن أفكر في إجراء التحاليل، ولا يحتاج لهذا

الانتظار القاتل، وهو أن أقنع "وليد" بإجراء التحليل حيث أن الفيروس ينتقل من مصاب إلىٰ سليم، وأنا أثق في أني سليم؛ لأنها أول ممارسة لي، ولكن الشك في "وليد" فقد مارس من قبل ثلاث ممارسات، فمن الممكن أن يكون أحد من مارس معهم مصابًا فأصيب هو وبالتالي أصِبتُ أنا منه إن كان كذلك، وأيضًا آخر ممارسة لـ "وليد" قبل ممارسته معي كانت منذ ستة أشهر، إذن لا يحتاج لوقت لإنتاج أجسام مضادة، وأي تحليل سيقوم به سيكون قطعيًّا وبالتالي إذ انتفىٰ عنه المرض؛ انتفىٰ عني أيضًا.

اطمأننت كثيرًا لهذه الفكرة التي ستقضي علىٰ كثير من الوساوس الداخلية التي تشغلني من هذا المرض، لكني سأضغط علىٰ نفسي حتىٰ أحدث "وليد"؛ فقد كرهته بعد هذا اليوم وكرهت كل شيء يذكرني بهذا الفعل المشؤوم حتىٰ ملابسي التي كنت أرتديها في هذا اليوم.

ولكن ما سيعود علىٰ نفسي من هذه المكالمة غير المرغوب فيها يستحق أن أضغط علىٰ نفسي لدقائق حتىٰ أستريح باقي الأيام وأعود إلىٰ حياتي الجديدة بتوبتي مع الله، ينتهي خوفي من هذا العقاب الدنيوي بهذا

المرض المخزي الفاضح، وبالفعل لم أضيع وقتًا واتصلت علىٰ "وليد" وكان متفاجئًا بهذا الاتصال غير المتوقع بسبب طريقة إنهائي للقائنا السابق بعد هذا الفعل، وما كان مني من توبيخ وبغض له.

تكلمت معه وأخبرته بكل ما أصابني وأشعر به من بعد هذا اليوم المشؤوم، وكان منصتًا لي يسمع مني دون مقاطعة حتىٰ أخبرته بطلبي الذي سيريح قلبي ويخلصني من خوفي وقلقي، وأنه أيضًا سيكون اطمئنانًا له علىٰ نفسه من الممارسات السابقة، ويحمد الله علىٰ ماسبق أنه لم يصب بشيء، ويبدأ صفحة جديدة مع الله ومع نفسه.

ففجأني برد صادم:

- أنا مش موافق طبعًا يا طارق، أنا ابن ناس وعيلة، تحليل إيدز إيه اللي اعمله؟ وكمان كل اللي مارست معاهم زيك بالظبط، أنا واثق فيهم وولاد ناس برضه مش ناس جايبها من الشارع.

- أنا عارف والله بس الموضوع ممكن يكون عقاب من ربنا أكتر من أي حاجة تاني، وممكن يصيبنا حتىٰ لو محرصين قوي، وحتىٰ لو واثق

اعمل عشاني، أنا تعبان قوي وحاسس إن ربنا هيبتليني بشيء بسبب فعلي، ولما قريت عن الموضوع تعبت أكتر، وانت بإيدك تعمل حاجة تريحني ومش هتخسر حاجة، وانت كمان واثق إنك سليم بس أنا محتاج الموضوع دا معنويًّا هيفرق معايا.

- انت عايزني أروح أفضح نفسي بنفسي في معامل التحاليل وأنا باعمل تحليل الإيدز؟ أنا سليم يا طارق، عايز أنت تتأكد استنىٰ الشهر ونص ولا التلات شهور دول وانت علىٰ فكرة تعبان بس لأنك حاسس بتأنيب ضمير من الذنب، فحاسس إن الموضوع مش هيعدي علىٰ خير ولازم ربنا يعاقبك، ولما تهدا وتنسىٰ اليوم دا هترجع عادي وتوب لربنا وأنا أوعدك يا عم إني مش هاعرفك تاني عشان ما اتسببش لك في حاجة تاني، وأنا نفسي أعمل أي حاجة تريحك والله بس إلا الموضوع دا.

ازداد غضبي عليه من رده وعدم إحساسه بما بداخلي من ألم، فعلا صوتي عليه وزدات حدة ألفاظي عليه:

- أنت إنسان قذر، استغلالي، أخدت اللي أنت عايزه خلاص، دلوقتي مش عايز تعمل حاجة هتريحني وبعتني في ألمي وحزني!

كان رده في حدة أيضًا:

- لا أنت اللي استغلالي واتصلت بيَّ وكلمتني عشان محتاج حاجة مني زي المرة الأولى، اتكلمت معايا كويس لما حسيت إنك عايز تمارس معايا.

أغلقت في وجهه الهاتف بعد هذه المشادة الكلامية بيننا فقد ضاع أملي في شيء كان في تمامه راحتي النفسية عندما أقطع شكي باليقين أنني لست مصابًا إن خرجت نتيجة تحليل "وليد" سلبية وهذا أغلب ظني، لكنني كنت أريد ذلك موثقًا جازمًا حتىٰ ينتهي قلقي وخوفي، فاحتمال الإصابة بهذا المرض وإن كانت جزءًا من جزءٍ من واحد في المائة أو أقل يبقىٰ احتمال كبير لارتباط هذا المرض بالعار والخزي وبكل فعل مشين.

أخذت أفكر مرة أخرىٰ في وسيلة قاطعة تنهي وسواسي وتقطع شكي ففكرت بأن أتجرأ وأذهب إلىٰ أحد المعامل الخاصة الكبيرة التي أضمن أن أجد فيها هذه التحاليل وأسأل عنها، وبالأخص هذا التحليل الذي يحتاج فقط أسبوعًا فهذا أقصىٰ ما أتحمله، وهل سيكون سعره مناسبًا أستطيع تدبيره أم لا؟

فقد كُتب عنه أنه باهظ الثمن، وبالفعل في اليوم التالي لهذا اليوم ذهبت لأحد المختبرات الشهيرة ودخلت إليهم وقد انقبض قلبي، أجر نفسي جرًّا للدخول، ويكاد لحم وجهي يسقط خجلًا، فكيف أدخل علىٰ هذا الجمع من العاملين في هذا المختبر سائلًا عن تحاليل للإيدز؟ ما كنت أظن يومًا أن أكون بهذا الذل والانكسار، عندها عرفت المعنىٰ الحقيقي لذل المعصية وأن العزة في الصلاح والاستقامة وطاعة الله، نظر إليَّ موظف الاستقبال بابتسامة يرسمها لكل عميل حفاوة باستقباله قائلًا:

- **"اتفضل حضرتك استريح وهاشوف طلبك حالًا".**

وأنا أقف أمامه لا أتحدث وكأني تائه أو جئت خطأ إلىٰ هذا المكان، أمدُّ فقط ورقة قد كتبت فيها أسماء هذه التحاليل من الإنترنت، قبضت يدي مرة أخرىٰ عندما أمرني بالجلوس حتىٰ يأتي دوري وجلست علىٰ أحد المقاعد في صالة المعمل وأنا أنظر إلىٰ وجوه الجميع وأشعر كأنني الغريب بينهم، والكل ينظر لي ربما غرابتي لم تكن من شكلي وإن كان يبدو عليه الحزن والأسى؛ لكن غرابتي في هذه التحاليل المكتوبة علىٰ الورقة التي ما أظن أن أحدًا من الجالسين جاء سائلًا عنها غيري، لعل هذا ما جعلني أشعر بهذه الغربة.

انتهىٰ كل من كان قبلي من حاجته، من استلم نتيجة التحليل الخاص به، ومن استفسر، ومن دخل لسحب عينة ولم يكن غيري، لكنني لم أقم حتىٰ استدعاني قائلًا:

- **"اتفضل حضرتك يا افندم".**

ذهبت إليه صامتًا مادًّا هذه الورقة وقد أخذها مني، ما إن قرأها حتىٰ تبدلت ابتسامته المعتادة للعملاء بتوتر وشيء من الامتعاض، فقد أصبحت غير باقي العملاء، فتغيرت الابتسامة المعتادة:

- **"ممكن تتفضل تستريح ثواني؟ هاستدعي الدكتور نسأله".**

وبالفعل استدعىٰ الطبيب ودار بينهم حديث جانبي وهم ينظرون إليَّ، وددت في هذه اللحظات وهذا الخجل أن لو تصعد روحي إلىٰ بارئها ويتوارىٰ جسدي تحت التراب.

جاءني الطبيب وكان أكثر حنكة وحكمة في طريقة تعامله عن هذا الموظف الذي أظهر لي انطباعه السيئ عندما قرأ ورقتي، وإن كانت تدعو لذلك إلا أنه مختبر كبير ومن المفترض أن موظفيه مهيئون لذلك، حدثني الطبيب بشيء من الود علىٰ انفراد بعيد عن الجميع وكأنه شعر بحالي ونفسيتي:

- "خير ما لك؟ أنت عايز تعمل التحاليل دي ليه؟ وأنت عارف دي بتاعة إيه؟ ولو مش عايز تقول حقك طبعًا بس عشان أقدر أساعدك وأوجهك".

رفعت رأسي إليه بعينين فيهما مسحة من دموع وانكسار وخجل لكن الله وفقني لرد حفظ ماء وجهي قليلًا عن ذلك الرد الآخر وتصريحي بفعلي:

- "أنا اتعرضت لخطر من المخاطر اللي ممكن ينتقل من خلالها الفيروس دا".

رد دبلوماسي فضفاض فهذه المخاطر فيها أشياء عادية من الممكن أن يتعرض لها أي أحد مثلًا، سأل الطبيب:

- "انتقال دم ملوث أو حقنة ملوثة أو حتى عند طيب أسنان أدواته غير معقمة"

أجبت:

- "يعني".

هكذا وفقت لرد حفظ ماء وجهي.

فقال نفس المعلومات التي كنت قد قرأتها في المواقع الطبية من قبل لكنه ازداد فقط على هذه المعلومات ثمن تكلفة التحليل ومدة استلامه.

فكان تحليل الأجسام المضادة "**HIV AB HG**" الذي لا بد عمله بعد ثلاثة أشهر من الممارسة أو التعرض للخطر تكلفته 150 جنيهًا وتحليل "**HIV AG**" الذي يبحث عن جزء من الفيروس أو مخلفاته "أنتيجين" بالإضافة أيضًا للأجسام المضادة تكلفته 200 جنيهًا، وهذا يكون أجراؤه بعد شهر ونصف علىٰ الأقل من التعرض للخطر.

أما تحليل "**HIV PCR**" وهو الذي يبحث عن الفيروس نفسه ويستطيع أن يشخصه في مدة حوالي أسبوع علىٰ الأقل من التعرض للخطر تكلفته 2000 جنيه.

ثم قال:

- **"بس ماعلش لو عايز تعمل أي تحليل من دول لازم تجيب معاك صورة بطاقة عشان تسيبها، ودي تعليمات وزارة الصحة عشان لو لا قدر الله إيجابي هما بقىٰ بيتولوا متابعتك ورعايتك".**

شكرته علىٰ مساعدته وحديثه لكني قد صدمت من أمرين أولًا ثمن هذا التحليل "**HIV PCR**" الذي كنت أتعشم أن يكون بسعر أستطيع تدبيره؛ لأني لا أستطيع أن أصبر لما هو أبعد من أسبوع، والأمر الآخر

الذي صدمني وزاد خوفي هو قوله الأخير أن أحضر صورة بطاقتي عندها شعرت بوجع في نفسي وألم علىٰ أملي.

عدت إلىٰ البيت يائسًا قد خاب أملي ورجائي فسعر التحليل أكثر بكثير من استطاعتي، فكان الاختيار الأصعب الذي أجبرت عليه هو الانتظار علىٰ الأقل لشهر ونصف علىٰ هذه الحالة السيئة حتىٰ يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

شعرت وقتها وكأنه نوع من العقاب الضمني أن لا يستريح عقلي ولا بالي طوال هذه المدة الطويلة مع الألم النفسي، توالت الأيام عليَّ وأنا علىٰ هذه الحالة، انطوائية تغلب علىٰ حالي في كثير من الأوقات، وحزن لا يفارق وجهي، قد تغيرت حياتي، فارقتني الضحكة، انعزلت بنفسي إلا من وقت قليل يصطحبني بعض أصدقائي معهم، تعبت أمي من محاولات كثيرة لفهم حالتي وما حل بي، وأنا أعطي أعذارًا واهية ودائمًا ملامحي تكذبني.

مرت عليَّ ليالٍ كثيرة سهرتها بالبكاء وحدي، حتىٰ أبكي دون أن يراني أحد أو يسألني أحد "ما لك؟" في أمر لا أستطيع الإفصاح عنه

لأحد، فكنت أفصح لربي في هذه الليالي فهو وحده القادر علىٰ أن يغير ما بنفسي كنت أناجيه وأستحي أن أرفع يدي أو رأسي إليه فقد تجرأت علىٰ حدوده من قبل، فكنت منكسرًا ذليلًا طارقًا في كل ليلة بابه المفتوح للعصاة.

هكذا مرت معظم الليالي عليَّ، فكنت لا أنام فيها إلا قليلًا عند طلوع الشمس، عندما أنهك من البكاء والحسرة، فالذي يجعلني أحيا إلىٰ الآن هو الهروب إلىٰ بئر البكاء، فأظن أنني بدونه كنت الآن من عداد الأموات، فهو ما زال الجُب الذي ينجينا من الهلاك، أما نهاري فلم يختلف كثيرًا عن ليلي، وإن كان به أوقات هي أفضل بقليل من حالي في ليلي عندما يزورني بعض الأصدقاء أو أتفاعل مع أسرتي فأنسىٰ لدقائق معدودات حالي أو ابتسم تفاعلًا مع مداعبة أو قول مازح، لكن سرعان ما أتذكر شبحي وأحزاني فينقلب وجهي فجأة وتتغير ملامحه عندها أبعد وحيدًا عن أي جمع كنت بينه حتىٰ لا يشعر أحد بحالي، فكانت العزلة أيضًا السمة الغالبة علىٰ حالي حتىٰ في نهاري.

مرت ثلاثة أسابيع وأنا علىٰ هذه الحالة، وفي كل يوم أتفحص جسدي خائفًا من أن تظهر عليه أعراض هذا المرض الأولية، خصوصًا

وأنها تزداد حدة علىٰ بعض الناس في الأسابيع الأولىٰ كما قرأت من قبل، فعندما أشعر ببعض الحرارة في جسدي من ضيقي وحالي أظن أنها من أعراض المرض، وعندما أشعر ببعض الالتهاب في جوفي أقول لعله هذا التهاب العقد الليمفاوية المصاحب لهذا المرض.

أصبحت حياتي ذات هدف واحد فقط؛ أن أسمع كلمة واحدة هي أنني لست مصابًا بالإيدز، فأصبح غالب ظني من شدة التفكير هو أنني مريض إلىٰ أن يثبت العكس، وليس أنني صحيح إلىٰ أن يثبت العكس.

وفي ليلة من هذه الليالي العصيبة وأنا أبحث بين المواقع عن معلومة عن هذا المرض ربما تزيل عني شكوكي وأوهامي تعرفت علىٰ "الجمعية المصرية للوقاية من الإيدز" تعرفت عليها من خلال بحثي بكل ما يتعلق بالإيدز علىٰ الإنترنت، وهذه الجمعية تقدم العون والاستفسارات بكل ما يتعلق بالإيدز، ولحسن القدر وجدت عنوان هذه الجمعية علىٰ موقعها وأن مقرها الرئيسي في الإسكندرية.

ووجدت أيضًا أرقامًا تليفونية للاستفسارات، ومن ضمن هذه الأرقام رقم رئيسة هذه الجمعية والمرشدة النفسية فيها الأستاذة "سوسن

الشيخ" كان قد مر هذا الاسم عليَّ أكثر من مرة خلال بحثي المتواصل عن هذا المرض علىٰ شبكة الإنترنت، فهي من المختصين والمهتمين بهذا الأمر، ولها أكثر من تصريح شفهي وفيديوهات لندوات لها علىٰ الإنترنت.

فرحت جدًّا بهذا الرقم لكنني كنت أشك في أن يكون صحيحًا أو أن تكون هي بنفسها التي ترد علىٰ المتصلين كونها رئيسة الجمعية التي لها فروع كثيرة وأنشطة متعددة في هذا المجال، فلا وقت عندها للردود وخصوصًا أن رقمها متاحًا علنيًّا في الموقع الخاص بالجمعية.

وعكس توقعي كانت المفاجأة أن الرقم يعمل وأنا بانتظار الرد، وعكس المتوقع أيضًا كان ردها سريعًا علىٰ الهاتف ومن أول مرة، انتابني شيء من التخبط، كنت أتصل وأغلب الظن أنها لن ترد أو إن الرقم غير صحيح، فتداركت اللحظة:

- أستاذة سوسن معايا؟

- أيوة يا افندم.

تلكأت في كلامي لا أدري من أين سأبدأ؟ وكيف سأبدأ؟

حتىٰ بادرت هي بالحديث وكأنها تشعر بخبرتها ما بداخلي من قلق وتوتر

فقالت:

- اتكلم يا ابني بكل حرية، أنا هاسمعك وقول كل اللي في نفسك، أنا هاساعدك وبكل سرية، وهاجاوب علىٰ كل أسئلتك.

تشجعت من كلامها وطريقتها خاصة عندما قالت "يا ابني"، فقد زالت بهذه الكلمة كل رسميات، فكان حديثي لها فضفضة طالما كنت أتمناها ولا أستطيع أن أفعلها لعظم الأمر، وشجعني أيضًا علىٰ الحديث بكل فضفضة غير طريقتها البسيطة أننا نتحدث في الهاتف ولا تعلم أي شيء عني ولم تسألني هي عن أية معلومات شخصية:

- أنا تعبان وخايف قوي ومش عارف أعيش حياتي، أنا عملت غلطة كبيرة قوي ومن ساعتها خايف، خايف من عذاب ربنا في الآخرة وخايف من عذابه في الدنيا إنه يبتليني بالإيدز، نفسي أطمن إني مش عندي الإيدز والتحليل اللي أقدر عليه بتاع الأجسام المضادة لازم أقعد شهر ونص أو تلات شهور، وأنا مش قادر أنتظر، أنا بقالي بس تلات أسابيع وحاسس إني باموت، والدنيا كلها سودا في عينيَّ.

- اطمن إن شاء الله مش هيكون فيك حاجة، وأنا واثقة من كدا بس برضه لازم نعمل التحليل ونطمن، مش لازم تستنىٰ شهر ونص ولا تلات شهور عشان تعرف، الكلام دا قديم واتلغىٰ والعلم اتقدم، أنت فاضل لك أسبوع بس وتقدر تعرف بتحليل الأجسام المضادة العادي أو السريع "الرابيد تست" واوعىٰ تقول النت بيقول عكس كدا، اللي أنا باقوله هو الكلام الصح، أنت منين الأول عشان أدلك علىٰ أقرب مكان عندك في محافظتك؟

- من إسكندرية.

- تمام قوي معانا يعني هنا، أكيد تعرف مستشفىٰ الحميات بتاعة إسكندرية؟

- أيوة حضرتك.

- تمام هتروح الأسبوع الجاي هتكون كملت شهر وتسأل عن دكتورة "مها" مديرة المعمل هناك، وهي معانا في الجمعية، وهتكون متفهمة لكل حاجة وهناك في مركز المشورة هينصحوك عشان ما تغلطش تاني، وقول لها إنك كملت شهر علىٰ الممارسة الغلط، ويا ريت تتابع معايا بالموبايل لو فيه أي حاجة ولما تطلع النتيجة عشان نطمن.

أراحني جدًّا حديثها وخصوصًا أنها لم تتطرق للتفاصيل وكان كل همها مساعدتي، ولكن الغريب أن كلامها عن مدة التحليل لم أقرأه في أي موقع طبي من قبل، حيث إن جميع المواقع أكدت أن تحليل الأجسام المضادة حتىٰ يكون قطعيًّا لا بد من مرور ثلاثة أشهر علىٰ آخر ممارسة تحتوي علىٰ خطورة، قلت في نفسي"هي أدرى؛ هي رئيسة جمعية لمكافحة مرض الإيدز" فمن المؤكد أن كلامها هو الأصح، وأن كلام الإنترنت قديم كما قالت ولم يُحدث.

أخذت أعد الأيام انتظارًا لهذا الأسبوع، وهذا اليوم الذي أجري فيه التحليل، لم يكن يشغلني من قبل تعداد الأيام ولا التواريخ، فكانت تمر علي سريعًا، لا أبالي بما مضىٰ من الأيام؛ بل من عمري كله علمت في هذا الوقت قدر اليوم، بل الساعة فيه، وعلمت كيف يكون طول الوقت علىٰ المنتظر، فكنت أنام في هذه الأيام مبكرًا حتىٰ أتعجل شروق يوم جديد، وحتىٰ يقل يوم من الانتظار وأهرب في نومي من قلق وخوف يطاردني في صحوي وكل تفاصيل حياتي، فكان الموت الأصغر أكثر راحة من حياة تفارقها الحياة.

في ليلة اليوم المحدد لذهابي إلىٰ المستشفىٰ خطر ببالي "وليد" وروادتني فكرة الاتصال به، لكن هذه المرة ليس اتصالي لشيء أريده منه، فقد حددت وجهتي وغدًا الموعد المنتظر؛ ولكن ربما لأخبارِه بما سأتوجه إليه في الغد، عله يفكر في الذهاب معي ويكون الغد هو يوم جديد في حياتينا إن اطمأننا علىٰ سلامتنا.

ترددت كثيرًا في الاتصال به، وذلك لما حدث بيننا في آخر اتصال كان بيني وبينه، تخوفت أن يظن أني أريده في نفس طلبي السابق فلا يرد، في نهاية الأمر قررت أن أتصل به، خاصة وأني لا أريده إلا لنفسه وقررت في داخلي أن يكون هذا آخر اتصال وحديثٍ بيننا.

أمسكت بهاتفي أمُر علىٰ الأسماء، أذهب إلىٰ اسمه ثم أتراجع مرة أخرىٰ حتىٰ ضغطت الزر فاتصلت عليه، انتهىٰ وقت الطلب ولم يرد، ترددت في معاودة الاتصال، لكن قلت لعله لم يرَ اتصالي فعاودت مرة أخرى، ولكنه أيضًا لم يرد، الأمر الذي زادني استياء منه وجعل ظنوني تحدثني أنه يتهرب مني خوفًا من طلبي السابق، الأمر الذي جعلني أعاود الاتصال به حتىٰ أصب عليه جام غضبي، وأنني لا أحتاجه؛ بل

كنت أتصل عليه لنفسه كي أنصحه وأخبره أنني من الأساس قد قررت أن يكون هذا آخر اتصالٍ مني به.

لكنه أيضًا لم يرد، فقررت أن أرسل له برسالة علىٰ هاتفه أفرغ فيها غضبي علىٰ عدم رده، وأخبره أنني لن أعاود الاتصال به مرة أخرى، وما أردت سوي الاطمئنان عليه ونصحه فقط.

أرسلت الرسالة وبعدها بدقائق رن هاتفي باسمه، قمت بفتح المكالمة متحفزًا وبسرعة، لكن ما كبح اندفاع غضبي صوت السيدة الخافت الذي سمعته بدلًا من صوت "وليد" فأصابني الصمت منتظرًا قولها:

- **"ماعلش يا ابني "وليد" مش هيقدر يرد عليك، وليد عند ربنا".**

قالتها ثم انهمرت بالبكاء والنحيب

- **"إيه؟ مش فاهم؟"**

قلتها وقد تسارعت دقات قلبي أستفسر علها تقصد شيئًا غير ما أظن.

ردت بصوت باكٍ:

"أيوة يا ابني، أنا أم "وليد"، وليد مات من يومين اتقلبت بيه العربية علىٰ طريق الكورنيش، وأنا قريت رسالتك وانت بتعاتبه وظنيت فيه ظن

سوء وهو عند ربنا، فاتصلت عليك لأنه مش هيقدر يرد عليك خالص، حتىٰ لو ما كنتش قررت إنك ما تتصلش بيه تاني."

انتهت المكالمة تاركة صدمة وفاجعة كبيرة، أكاد لا أرىٰ حولي من هولها، لا أصدق! مات "وليد"! أهو الآن عند الله؟! هل استعد لهذا اللقاء؟ هل تاب من ذنبه؟ كيف حاله هناك بهذا الفعل الكبير؟ أم إنه كما قال لي من قبل أنه لم يظلم أحدًا ولم يتعدَ علىٰ أحد، وأنه أيضًا يصلي، وأن ذنبه في حقه لم يكن في حق الله ولا العباد، وأن الله هو الذي جعله كذلك، هل سيقبل الله قوله هذا؟ كاد رأسي أن ينفجر ودموعي لا أستطيع حبسها، لا أعرف أي مصير يلاقيه الآن، لكن ما أعلمه أن الله عدل لا يظلم الناس شيئًا، كلنا يعلم أن الموت قريب ولا يعرف شيبًا أو شبابًا، لكن القليل من يعمل بهذا.

هل كان يدري "وليد" قبلها بأيام أو حتىٰ بساعات أنه سيموت وهو الشاب الصحيح الذي كان يخطط لنفسه لسنوات؟!

ندمت أن اتصالي عليه كان متأخرًا، واتصالاتي السابقة كانت لنفسي، الكثير من الناس يكونون حولنا نبتعد عنهم طوعًا أو مكابرة ونتمنىٰ

بعد موتهم أن لو يعودوا يومًا للحياة وكأنهم لم يكونوا بيننا أيامًا وسنوات، عندها تذكرت أن لو كنت أنا اختيار القدر وليس "وليد" كيف سيكون حالي؟ عندها فقط عرفت معنىٰ أن يعطيك الله فرصة للبقاء وعرفت معنىٰ أنني ما زلت علىٰ قيد الحياة.

في هذا اليوم فقط قل عندي نوعًا ما خوفي من هذا المرض، حيث إنه مرتبط بدنيا قد أغيب عنها حتىٰ من غير هذا المرض، ولكن ما لا أستطيع الغياب عنه هو الموت، وبعدها لقاء الله، فهو الأحق بالخشية علىٰ الذنب من هذا المرض، وإن كان لعينًا فاضحًا، فيوم القيامة أشد فضحًا وخزيًا.

جاء اليوم الموعود المرتقب الذي أتمنىٰ أن يكمل فرحتي بالتوبة والرجوع، وأن تغلق هذه الصفحة دون أن يتعلق بي شيء من درنها، يوم كان ليله ترقبًا وانتظارًا وحذرًا وتفكيرًا في المجهول الذي ينتظرني، ذهبت إلىٰ المستشفىٰ مبكرًا أحمل بداخلي خوفًا شديدًا وقلقًا، فكيف سيكون استقبالهم لي وتلقيهم لحالتي!

وكان بداخلي بصيص من الرجاء والأمل أن يكون اليوم بداية لنهاية هذه المعاناة إن كتب الله لي المعافاة.

دخلت هذا المستشفىٰ الكبير الواسع وأنا أتخيل أن كل من فيه ينظر إليَّ رغم أنني لم أحدث أحدًا ولم أفصح بعد عن سبب مجيئي، لكنها تلك البطحة التي تكون علىٰ الرأس فيشعر صاحبها أن الجميع يراها.

أخذت أتجول في المستشفىٰ وأدور في رحاها، أتردد أن أسأل أحدًا أبحث وأعود إلىٰ نفس المكان الذي بدأت منه حتىٰ رأتني إحدىٰ العاملات وسألتني:

- **"شايفاك رايح جاي، بتدور علىٰ حاجة؟."**

فتلجلجت في ردي:

- **"عن التحاليل".**

قالت:

- **"تحاليل إيه بالظبط؟ لكل حاجة مكانها"**

كان ردي خاطفًا:

تحليل "HIV".

ففهمت ما أريد وأشارت لي علىٰ مبنىٰ في منأىٰ عن باقي مباني المستشفي، إنه مركز تحاليل ومشورة فيروس **"HIV"** فتحركت صوب

ذلك المبنىٰ الذي يبدو وحيدًا بعيدًا عن باقي مباني المستشفىٰ وأقسامه كبعد أصحاب هذا المرض عن مجتمعهم الذي يلفظهم ويفرض عليهم العزلة.

دخلت فيه وقد تثاقلت قدماي وتسارعت دقات قلبي الموجوع وعيناي تكلفان الأحداق حتىٰ تتغلب علىٰ الدموع.

دخلت وسألت أحد الممرضات عن دكتورة "مها".

فقالت:

- "مديرة المعمل؟"

أجبت:

- "أيوة حضرتك".

فدلتني علىٰ مكتبها فذهبت إليها وأنا أبطئ الحركة، أفكر بداخلي كيف سأبدأ معها حديثي وكيف سأقول لها، حتىٰ تفاجأت أنني أمام مكتبها، بل أمامها شخصيًّا، وما علي إلا أن أتحدث بما جئت من أجله.

"أنا من طرف أستاذة سوسن، وهي بعتتني لحضرتك".

ففهمت ماذا أريد ولماذا جئت، ورفعت عني حرج الحديث في التفاصيل، بل واصلت سريعًا:

- "كم يوم مر علىٰ تعرضك للخطر؟".

أجبت:

- "أربع أسابيع"

هزت رأسها:

- "تمام كويس".

كتبت لي ورقة كي أذهب بها إلىٰ حجرة سحب العينة لإجراء التحليل، فذهبت إلىٰ حجرة سحب العينة وهي مخصصة لسحب عينات هذا الفيروس فقط كباقي هذا المبنىٰ الذي جعل لنفس هذا الغرض، وكانت المفاجأة في هذه الحجرة الواسعة التي تتكون من جزئين، مكان للانتظار ومكان لسحب العينة بالداخل، فوجئت هناك بمجموعة كبيرة من الشباب والشابات قرابة عشرين فردًا أو أكثر، وهذا عدد كبير نسبيًّا أن أراه في هذا المبنىٰ خصوصًا، والمفاجأة الأكبر أنهم يتبادلون الحديث في غير قلق منهم وكأنهم لا يشغلهم ما يشغلني ولا يبالون بهذا الموقف.

أنا الغريب بينهم أقف وحيدًا في زاوية أنتظر دوري بعد أن قدمت هذه الورقة التي أخذتها من الدكتورة، كان الكل ينتظر، ولم أر أحدًا

يخرج من مكان سحب العينة وكأن العمل لم يبدأ بعد، حتىٰ جاء ممرض شاب فقام الجميع متهيأ فعلمت أنه المسؤول عن سحب العينات، ولكن قبل دخوله إلىٰ مكان السحب حدثه زميل له كان يرافقه بصوت خافت وكنت بجوارهم، الأمر الذي جعلني أسمع دون أن أجتهد إلىٰ السماع قال له:

- "مش عارف إمتىٰ ربنا هيتوب عليك من القرف دا والناس المقرفة دي اللي ربنا ابتلانا بيهم؟! خلي بالك قوي وانت بتسحب العينات، خد كل احتياطاتك".

فكانت الكلمات التي همس بها هذا الممرض كالطلقات علىٰ أذني وجلدات السوط علىٰ جسدي، فتفلت تلك الدمعات التي كنت أجاهد حبسها منذ أن دخلت هذا المكان، فأنا من ضمن هذا القرف وهذا الابتلاء الذي يتحدث عنه، فما أشد علىٰ النفس من أن تكون منبوذة بيد صاحبها.

جاء دوري لسحب العينة فدخلت مطأطأ الرأس منكسرًا أتمنىٰ أن يمر هذا الموقف في لمحة من البصر، وعندما اقتربت من الممرض نظر لي متفحصًا وجهي وقال لي:

- أنت أول مرة ولا إيه؟

- أول مرة إيه؟

- أول مرة تتابع قياس نسبة الفيروس والمناعة؟

- لا حضرتك أنا جاي أعمل تحليل "**HIV**".

- آه يعني أنت لسَّا مش عارف عندك ولا لأ، لأن كل الموجودين برَّا دول عندهم "الإيدز" وبييجوا كل شهر بيعملوا تحاليل متابعة عن حالة المرض ونسبة الفيروس.

قلت وقد اشتد خوفي: لا أنا لسَّا أول تحليل ليَّ وما اعرفش عندي ولا لأ.

فقال لي: مر علىٰ علاقتك الخطرة كام يوم؟

- شهر حضرتك.

- تمام ماشي، ثم سحب العينة.

وبعد أن سحب العينة وضعها في مكان آخر بعيدًا عن باقي العينات الأخرى، حيث إن تحليل معرِفة وجود "**HIV**" غير تحليل "**CD4**" لمتابعة المرض وقدرة جهاز المناعة.

ثم قال لي:

- روح للأستاذة "حنان "هي في الأوضة اللي جنبي بتاعة المشورة عشان تكلمك لأنك أول مرة.

فتوجهت بعد ذلك إلىٰ حجرة المشورة للأستاذة "حنان"، دخلت إليها ولم أتحدث فسألتني:

- أؤمر حضرتك؟

- أنا كنت في حجرة سحب عينة تحليل "**HIV**" والممرض قال لي روح للأستاذة حنان في المشورة لأنك أول مرة.

- آه اتفضل استريح.

سألتني عن مدة تعرضي للخطر وإجراء التحليل فقلت:

- "شهر".

فقالت:

- "مش كفاية، ممكن تكون سلبية كاذبة وأنت بالفعل مريض بالإيدز، عشان كدا لازم تكرر التحليل بعد مرور تلات شهور من

التعرض للخطر، وكمان تعيده بعد مرور تلات شهور تانيين، ساعتها بقىٰ لو كنت سلبي أقدر أطمنك إنك ما عندكش المرض".

كان كلامها لي بمثابة الصدمة والطامة الكبرى، فكان أملي أن يكون هذا اليوم هو آخر أيام معاناتي، وأن تصبح النتيجة سلبية، فقد مر عليَّ هذا الشهر وكأنه ألف عام، فكيف بخمسة أشهر قادمة أو حتىٰ شهرين آخرين حسب كلامها؟! فقلت لها:

- بس الأستاذة سوسن الشيخ رئيس جمعية مكافحة الإيدز قالت شهر يكفي وكمان الدكتورة "مها" مديرة المعمل.

قالت:

- "أنا باقول لك الكلام اللي بعده تكون مطمن؛ لأن دا مش حاجة سهلة، دا إيدز يا ابني، وأنا أخاف إن يكون عندك تعدي حد ولا حاجة دا مصيبة".

ثم بعد ذلك أخذت تنصحني وتذكرني بالله لكن روحي كانت شاردة تفكر في الأيام المقبلة التي سأعيشها منتظرًا التحاليل القادمة، ثم

كانت الصدمة الأخرىٰ منها وهي أن أعود إليهم بعد أسبوع لمعرفة نتيجة التحليل الذي كنت أظنه في نفس اليوم، خرجت من حجرة المشورة وأنا في حالة من اليأس والحزن الشديد فقد ضاع الأمل في أن يكون اليوم نهاية المعاناة والوجع.

وأثناء خروجي مررت علىٰ حجرة سحب العينة فقد كانت تسبق حجرة المشورة، فإذا بطبيب يقف علىٰ بابها ويحيطه كل الشباب والشابات الذين يتابعون مرضهم ملتفين حوله يحدثهم بكل ود، فأخذت أنظر إليه منتظرًا أن ينفض الشباب من حوله وأذهب إليه حتىٰ أعلم منه الخبر اليقين في مدة التحاليل القطعية، وخاصة أنه من أهل التخصص، انتظرت كثيرًا ولكن الشباب حوله لا ينقطعون يذهب البعض ويأتي الآخر.

حتىٰ رآني هو أنظر إليه من بعيد فعلم أن في نفسي شيئًا أود الحديث معه بخصوصه، فأشار إلي أن آتيه فذهبت إليه فسألني:

- "ما لك واقف بعيد؟ شكلك جديد وعايز تسأل عن حاجة؟".

قلت:

- "أنا نفسي أستريح يا دكتور وعايز أعرف بس المدة القطعية لتحليل "**HIV**"".

رد قائلًا:

- "شهر كافي جدًّا "

أجبت:

- "يا دكتور أنا سمعت كلام غير كدا من أستاذة "حنان" إني لازم أقعد تلات شهور وأعمل تحليل وبعد كدا تلات شهور تانية عشان أتأكد، وأنا تعبان قوي ومش هاقدر أقعد كل دا".

- أنت بقالك قد إيه؟

- شهر، وعملت التحليل لكن كمان قالت لي أستلمه بعد أسبوع، وأنا خايف قوي ومش هاقدر استنى.

- لا شهر كافي اطمن، وكمان ولا أسبوع ولا حاجة، ممكن تعرف بعدها بعشر دقايق بتحليل الرابيد تست السريع، إيه اللي خلاك تعمل التحليل العادي وتيجي هنا أصلًا؟

- أمال كنت أروح فين بس؟ أنا ما اعرفش حاجة.

- بص أنا "الدكتور عماد "ليَّ مركز برَّا باعمل فيه التحليل دا مجانًا، ولو لا قدر الله فيه إصابة باتابعك بالعلاجات والتحاليل التانية في المستشفىٰ هنا والمركز مجانًا؛ لأني مسؤول مكافحة المرض هنا في اسكندرية، وكل دا بكل سرية، ولو عايز تطمن بسرعة ومش هتقدر تنتظر أسبوع تعالالي علىٰ المركز.

فأعطاني عنوان المركز وموعد تحليلي هناك الذي كان في الثامنة مساء نفس اليوم.

ثم توجه بالحديث لفتاة أخرىٰ وهو يضع يده علىٰ كتفي بكل ود توضح مدىٰ فهمه وإحساسه بخوفنا وآلامنا، وكان من حديثه الجانبي لهذه الفتاة الذي سمعته بحكم قربي منه، كانت تحكي له أنها مريضة بالزائدة وتخشىٰ أن لو قالت للطبيب الذي سيجري لها العملية أنها مريضة بالإيدز لن يجري لها العملية، فأخبرها أنها لا بد أن تخبره لأنها من الأمانة حتىٰ يحتاط، فقالت:

- "يا دكتور ما أنت عارف حتىٰ الدكاترة بتخاف، وعُمره ما هيعمل لي العملية، وهو كدا كدا مش هيعرف لأن التحاليل اللي بيعملها قبل العمليات مافيهاش تحليل"**HIV**"".

فكان رده:

مش عارف أقول لك إيه، فعلًا لو عرف مش هيعمل لك العملية، للأسف حتىٰ الجهل بالمرض دا موجود برضه عند كتير من الدكاترة، مع إنهم دارسين وعارفين هو ازاي بيتنقل، ولو أخد الاحتياطات والإجراءات الوقائية خلاص، بس برضه بيخافوا زيهم زي الناس العادية اللي مش فاهمة حاجة عن طبيعة المرض.

ثم توجه إليَّ بكلامه:

- علىٰ ميعادنا بقىٰ النهاردا.

- إن شاء الله.

تركته وقد أدخل كلامه إلىٰ نفسي بعض الأمل أن يكون اليوم نهاية معاناتي، أو أن يكون اليوم تأكيدًا للحسرة والعذاب الدائم المقيم.

رغم قصر هذا الوقت الذي تحدثت فيه إلىٰ الدكتور "عماد" ورغم أنني لم أرَه قبل اليوم إلا أن كلامه كان محببًا إليَّ عن غيره، واستطاع ببساطته وتهوينه أن ينزع من قلبي الخوف والتحفظ، وإن كان لوقت قليل، رغم أنه لم يفعل شيئًا؛ لكنها أثر الكلمة الرقيقة والمعاملة الطيبة التي تسبق الأفعال في الأثر.

وأثناء عودتي أيضًا لم أنس هذا الحديث الذي كان بينه وبين تلك الفتاة، وأن معاناة صاحب هذا المرض عظيمة جدًّا ولا تقف عند صعوبة وشدة المرض؛ بل نظرة المجتمع هي الأصعب ومعاناته الحياتية أصعب مع من حوله عندما يعرفون أنه مريض "بالإيدز" هذه المعاناة التي لا تقتصر علىٰ عامة الناس؛ بل أيضًا الأطباء أَعرف الناس بالمرض ومن المفترض أن يكونوا معالجين ومخففين من أضراره علىٰ المريض وليسوا أيضًا جزءًا من المعاناة.

أتفهم أن يخبئ صاحب المرض مرضه عن العامة لأنهم جهلاء به، أما الطامة الكبرىٰ أن يضطر أيضًا أن يخبئ ذلك عن طبيبه حتىٰ لا يرفض أن يعالجه!

ذهبت إلىٰ دكتور "عماد" في مركزه في الموعد المحدد، فوجدته هناك وكان في مكتبه مع بعض الشباب المرضىٰ يتابع حالتهم ويسلمهم بعض الأدوية التي تحافظ علىٰ حد أدنىٰ من الاستقرار مع هذا المرض، وتحول دون تفاقمه؛ لأنه كما نعلم أنه لا يوجد له علاج شاف، ثم بعد خروج

الشباب استدعتني المساعدة له للدخول إليه، وما أن دخلت حتىٰ ظهرت ابتسامة عريضة علىٰ وجهه وترحيبًا أنساني أنني مقترف لخطأ قد جئت لمعرفة توابعه، وكأني صديق أو طبيب زميل. حدثني حديثًا طويلًا فيه نصح ومشورة، وقال لي لا بد أن تتهيأ لا قدر الله لو كانت النتيجة إيجابية، فلن نتركك وحدك أبدًا وأيضًا إن كانت سلبية سنقف معك حتىٰ لا تقع في مثل هذه المعاناة مرة أخرى، ثم بعد ذلك قمنا لإجراء التحليل والذي كان بسيطًا جدًّا مثله مثل أي اختبار سريع يعتمد علىٰ نقاط قليلة من الدم، ثم بعد ذلك أمرني بالانتظار في الخارج مقدار عشر دقائق حتىٰ تخرج النتيجة.

يا لها من عشر دقائق فارقة في حياتي! فقد يكون بعدها حياة أو موت في الحياة.

جلست علىٰ أحد المقاعد أترقب، ومن فرط الهدوء الذي كان في حجرة الانتظار كنت لا أسمع إلا أنفاسي تخرج بالروح من داخلي، ودقات عقارب الساعة التي تدق مع قلبي وهي تفارق كل ثانية ذاهبة

إلىٰ الموعد المحدد، كيف يكون مصير حياة في دقائق؟ نعم، فما الذنب إلا دقائق وعقابه سنوات أو مدىٰ الحياة.

جاءتني مساعِدة الطبيب تسير نحوي ببطء وقد ضاق صدري واحتبست أنفاسي:

- اتفضل الدكتور عايزك.

❋ ❋ ❋

هيت لك

دخلت إليه تكاد قدمي تحملني وكأني أُساق إلىٰ الموت، نظرت إليه وقد اغرورقت عيناي بالدمع

فتبسم في وجهي قائلًا:

- "ربنا عطاك فرصة تانية للحياة"

فما كان مني إلا أن زادت سيول وفيض دموعي وعلا صوت نحيبي:

- "الحمد لله الحمد لله.. كرمه كبير وواسع.. الحمد لله".

فضمني بودٍ قائلًا:

- "دا أقل شكر لربنا، ربنا مش عايز منك كدا".

قلت بصوت يختلط بالبكاء:

- "طيب أعمل إيه؟ أشكر ربنا ازاي؟"

رد قائلًا:

- "تساعدني لو تعرف حد زميلك لسَّا بيغلط، اقنعه ييجي يحلل ويطمن، عشان فيه كتير مرضىٰ مش عارفين إنهم مرضىٰ وبيعدوا

غيرهم، وفيه كتير ربنا سلمها معاهم رغم خطأهم زيك لكنهم لسَّا مصرين علىٰ الغلط، عايزين نوصل لدول ودول، بس المهم انت دلوقتي اوعىٰ تفكر تاني إنك مريض؛ لأن للأسف ناس كتير نجيت من المرض بس فضل معاهم وسواس المرض وحياتهم برضه ضاعت وكل شهر ليهم تحاليل ومش عايزين يصدقوا إنهم مش مرضى".

قلت:

- "بالله عليك يا دكتور، يعني أنا سليم؟ طيب إيه كلام أستاذة "حنان" اللي في مركز المشورة".

رد:

- "أنت سليم مية في المية، والكلام دا قديم بتاع الأستاذة "حنان" وهي هتتحاسب عليه؛ لأن للأسف الكلام علىٰ المواقع وبعض مراكز التحاليل والمختبرات الكبيرة ما اتحدثش، وكتير ليهم مصلحة في كدا إنهم ما يأكدوش إن الفرد سليم إلا بعد عدة تحاليل عشان يكسبوا همَّ من ورا كدا، وللأسف شباب كتيير وقع في الموضوع دا، وبقىٰ حتىٰ بعد الست شهور ما بيصدقش إنه سليم، والمصيبة إن فيه مراكز كبرىٰ

مشتركة في الجريمة دي، حتىٰ منظمة الصحة العالمية عشان تحافظ علىٰ مصالح أكبر شركات تصنيع أجهزة المختبرات العالمية والأدوية علىٰ حساب حياة كتير من الشباب، لدرجة بقىٰ فيه مرض معروف ومشهور عند الدكاترة النفسيين اسمه "وسواس الإيدز"، وكأن من لم يصبه الله بالمرض نتيجة لذنبه الكبير أصابه الله بوسواس المرض.

انتهىٰ كلام "طارق" بل لعله أزاح صخرة كانت علىٰ صدره من كتمان هذه المأساة في نفسه.

فقد رأىٰ في بوحه عبرة لغيره، لعل غيره يعتبر، فيكون تكفيرًا لذنبه أو عملًا يتقرب به إلىٰ الله، من نفس الفعل الذي تجرأ فيه علىٰ حرمات الله، كان يبتغي المثوبة فلم يكتفِ ببعده عن هذه الفعلة؛ بل قرر أن يكون أداة لبعد من يستطيع من الشباب عنها.

هذا ما دفعنا نحن أيضًا إلىٰ أن لا نكتفي بالعرض أو النقل؛ بل أن نكون منبرًا للتوعية وإيضاح بعض الخفايا عن تحليل هذا الفيروس اللعين ونساهم ولو بجزء يسير في التوعية وإبراز بعض الحقائق المهمة للغاية.

كانت تلك قصتي البائسة يا دكتور من هذا اليوم الذي ظننته نهاية المأساة، وأنا في مأساة أخرى، دائمًا خائف، دائمًا أفكر، مخاوفي تتصاعد كل يوم، وذنبي يقلقني في مضجعي..

الطبيب:

- ومن هنا سيكون عملنا يا طارق، فقط اليوم نهاية جلسات البوح وبدء جلسات الاسترشاد والعلاج، أريد أن أنهي معك تلك الحقبة وتلك الليلة بعظة بسيطة، لنبدأ في الأيام القادمة العمل من أجل استعادة الحياة.

لدىٰ الإنسان القدرة علىٰ التكيف، فمهما كانت الصعاب من حوله يستطيع بمرور الوقت أن يتعايش، ينسىٰ آلامه، ويتجاوز أوجاعه شيئًا فشيئًا حتىٰ كأنها لم تكن..

ولكن العقبة في حياة الإنسان هي ذلك الشعور الأخطر والذي يسمىٰ "القلق"، فما إن يتمكن من النفس حتىٰ يبدأ في القضاء علىٰ الشخص، ويُغيِّره تمامًا، حتىٰ إن تأثير القلق عليه يكون أسوأ بكثير جدًّا من تأثير سبب القلق!

فالإنسان قد يواجه المصيبة بشجاعة، ويتعامل معها بصبر واحتساب، ويستأنف حياته من بعدها واثقًا فيما عند ربه من عوض في الدنيا والآخرة، ولكن توقع المصيبة، وانتظار الأخطار هو الذي يقضُّ مضجعه، ويجعل تفكيره بعيدًا عن المنطق تمامًا، حتىٰ إنهم قديمًا قالوا: "وقوع البلا ولا انتظاره!" للدلالة علىٰ أن القلق أخطر وأسوأ من سببه، ولكن الإنسان المتصل بالله لسانه يلهج: عافني.. عافيتك أوسع لي، وهب لي من اليقين ما تُهون به عليَّ مصائب الدنيا.

تبقىٰ السفينة آمنة في الميناء، لكنه ليس المكان الذي صممت لأجله! وكذلك أنت.. هيا تحرك من مكانك وجرب لأنك لن تحل مشاكلك وأنت نائم في سريرك، ولن تكتشف حقيقة العالم وأنت قابع في مقعدك.

لا تخف أن تبتل قدماك، وكن علىٰ استعداد دائمًا لتجربة جديدة في بحر الحياة، البعض يخاف من الفشل، وأعجب منهم الذين يخافون من النجاح، ألم تصادف من يخشىٰ أن يعلن إنجازًا حققه أو جائزة حصل عليها، حتىٰ لا يغار منه رئيسه في العمل؟ ألم تصادف من يكبت فرحته ويخفي ابتهاجه لأنه يخاف من الحسد وإثارة الأحقاد؟ ومن ينكر انتصاره أو تقدمه حتىٰ لا يثير غيرة زملائه، ويتجنب حربًا مع منافسيه؟

يقول المثل (من خاف سلم)، لكن أغلب الظن، أن المثل لم يكتمل (من خاف سلم.. وعاش منهزمًا).

لا تخف من المعاناة فهي التي ستبنيك، لا تخف من الإحباط فهو مؤقت، وكل جهد بذلته في أي اتجاه لن يضيع.

حين انتهىٰ الطبيب من كلامه، كانت لحظة الولادة، نقطة رجوع ووقت الخلاص، لحظة ما بين الوجودية والإنكار، اللذة والألم، اختنق كطفل يولد من رحم الألم، لم يزده الحزن إلا فرحًا، والذنب إلا توبة، والتيه إلا عودة، والخوف إلا اطمئنانًا، وكأن إلهي يخبرني أنه بانتظاري، عدت أتنفس كشرنقة خرجت منها الحياة لتتولد ألوان، تزعزع أركان حيرتي، فأستزيد صلابة.

❋ ❋ ❋

مرت سبعة أعوام علىٰ طارق بعد زيارته الأخيرة للطبيب، وقرر أن يذهب إليه ليطمئنه علىٰ حاله، وأنه أنهىٰ دراسته وعمل بإحدىٰ الشركات التجارية الكبرى، وقد قابل "جميلة" وتزوجها، تلك الفتاة التي تحدث عن تدينها كل زملاء دفعتها، التي كانت بروح طفلة شديدة البراءة والعفوية والاتزان، كانت طوق نجاته وسبيله إلىٰ الرشد

والصواب، حبها له هو الطريق الذي قد مهد له خطوات رجوعه وتركه لكل ماضٍ سحيق قد يكره أن يتذكره، وكأن الله يخبره برسالة ما، أنه قد رضي عنه، وغفر له، وتقبل توبته. شعر طارق أن الحياة قررت أن تضحك عندما فاز هو بقلبها، وصارت حبيبته وصديقته وأم أطفاله أسامة وخالد.

❋ ❋ ❋

وفي أثناء صعود طارق الدرج ظل يحاول أن لا يتذكر فترة في حياته كانت بمثابة الهاوية إلىٰ قاع مظلم لا يعرف ثمة خير، فاصطدم كتف طارق بأحدهم.. كان مسرع الخطوات، حالة من الإعياء التام، منهك العزيمة، ضئيل الجسد، وكأنه ميت قام من مرقده ليسير بين الأحياء.. وهو يبكي أثناء هبوطه علىٰ الدرج، فالتف طارق ليقول له تمهل فالدنيا لا تستحق عناء الجري، فإذا به "مينا" ينظر له في حالة من الخرس والصمت القاتل، نظرا إلىٰ بعضهما البعض واقشعرت أبدانهما وتسمرت في الأرض خطواتهما، لكن نظراتهما كانت كافية لتقول كل شيء، فما أصاب مينا ظاهر علىٰ هيئته وجسده.

إنما هو القرار -الذي اتخذه كل منهما- ما أثر علىٰ سعادتهما وحزنهما في هذه اللحظة.. وهذا هو الشعور الذي جال في ذهن طارق حائرًا بين حمد الله علىٰ إعطائه فرصة للنجاة وأن مد له حبلًا يتمسك به، وبين ما آل إليه حال هذا المسكين الذي يرثىٰ له.

تمت

❋ ❋ ❋